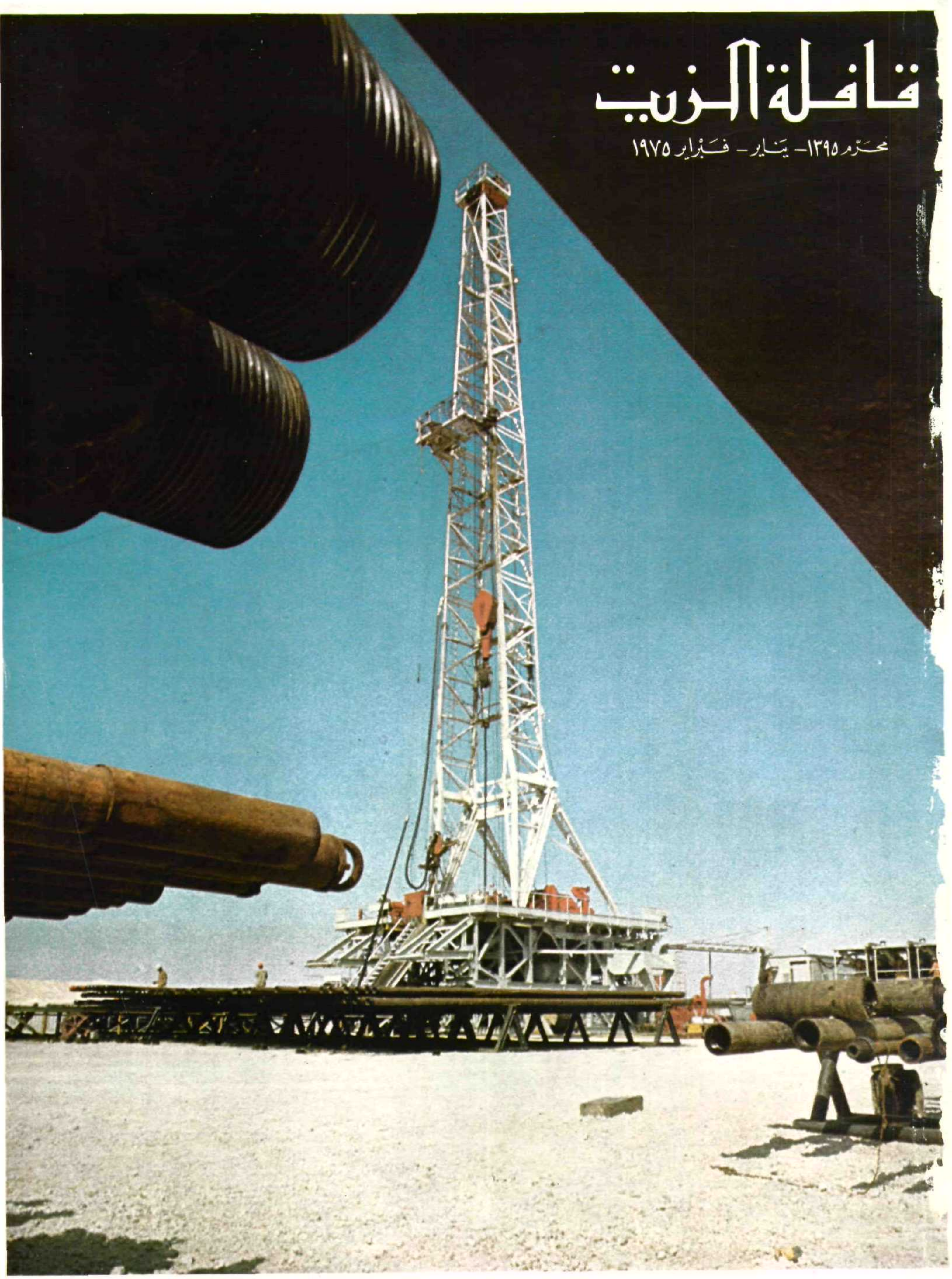
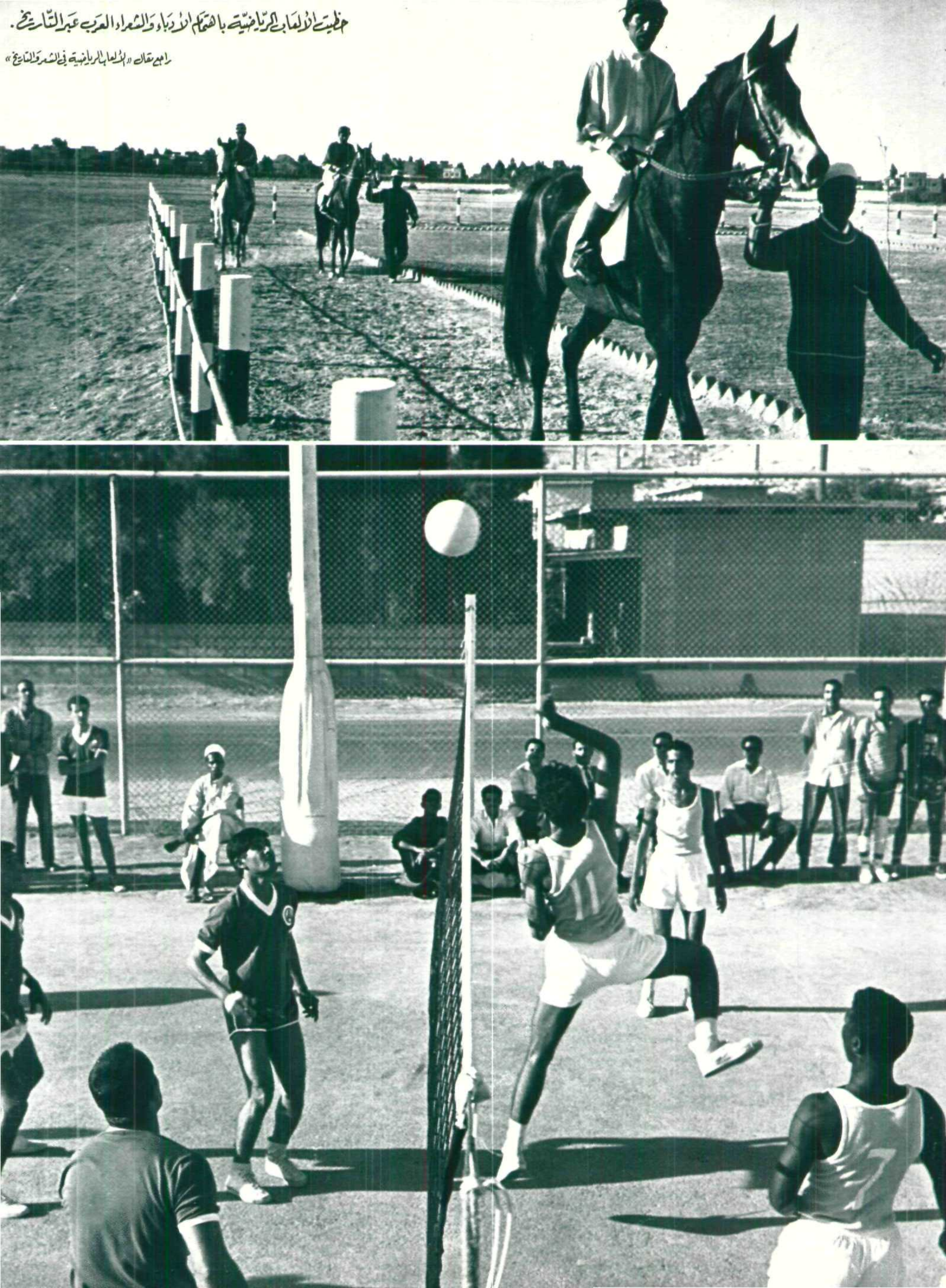


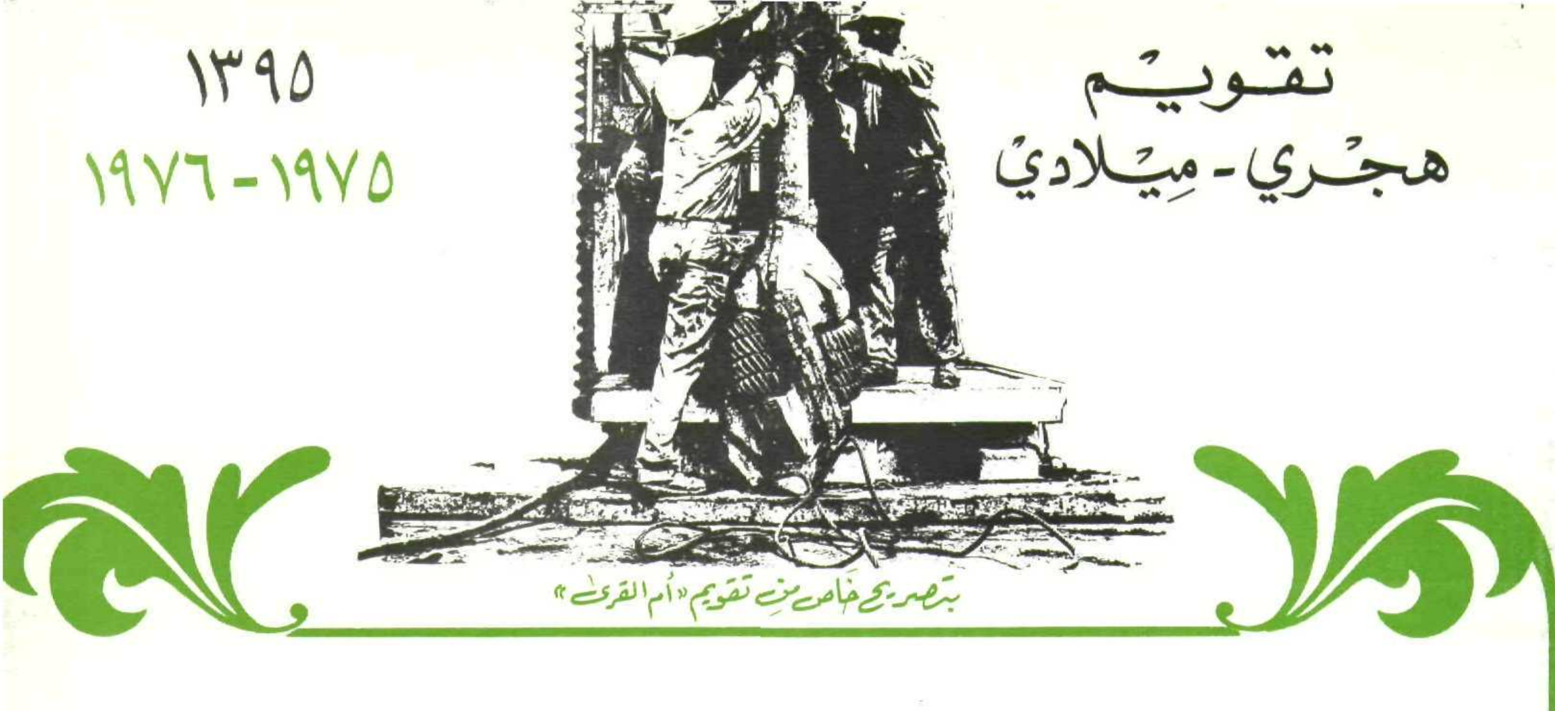
قافلة الزيت

محرم ١٣٩٥ - يناير - فبراير ١٩٧٥



حظيت الألعاب الرّياضيّة باهتمام الأدباء والشعراء العرب عبر التّاريخ.

راجع مقال «الألعاب الرياضية في الشعر والتاريخ»



محرم ١٣٩٥										يناير – فبراير ١٩٧٥
السبت			٦	١٨	١٣	٢٥	٢٠	١	٢٧	٨
الأحد			٧	١٩	١٤	٢٦	٢١	٢	٢٨	٩
الاثنين	١	١٣	٨	٢٠	١٥	٢٧	٢٢	٣	٢٩	١٠
الثلاثاء	٢	١٤	٩	٢١	١٦	٢٨	٢٣	٤	٣٠	١١
الأربعاء	٣	١٥	١٠	٢٢	١٧	٢٩	٢٤	٥		
الخميس	٤	١٦	١١	٢٣	١٨	٣٠	٢٥	٦		
الجمعة	٥	١٧	١٢	٢٤	١٩	٣١	٢٦	٧		

صفر ١٣٩٥										فبراير – مارس ١٩٧٥
السبت			٤	١٥	١١	٢٢	١٨	١	٢٥	٨
الأحد			٥	١٦	١٢	٢٣	١٩	٢	٢٦	٩
الاثنين			٦	١٧	١٣	٢٤	٢٠	٣	٢٧	١٠
الثلاثاء			٧	١٨	١٤	٢٥	٢١	٤	٢٨	١١
الأربعاء	١	١٢	٨	١٩	١٥	٢٦	٢٢	٥	٢٩	١٢
الخميس	٢	١٣	٩	٢٠	١٦	٢٧	٢٣	٦		
الجمعة	٣	١٤	١٠	٢١	١٧	٢٨	٢٤	٧		

ربيع الأول ١٣٩٥										مارس – ابريل ١٩٧٥
السبت			٣	١٥	١٠	٢٢	١٧	٢٩	٢٤	٥
الأحد			٤	١٦	١١	٢٣	١٨	٣٠	٢٥	٦
الاثنين			٥	١٧	١٢	٢٤	١٩	٣١	٢٦	٧
الثلاثاء			٦	١٨	١٣	٢٥	٢٠	١	٢٧	٨
الأربعاء			٧	١٩	١٤	٢٦	٢١	٢	٢٨	٩
الخميس	١	١٣	٨	٢٠	١٥	٢٧	٢٢	٣	٢٩	١٠
الجمعة	٢	١٤	٩	٢١	١٦	٢٨	٢٣	٤	٣٠	١١

ربيع الثاني ١٣٩٥										ابريل – مايو ١٩٧٥
السبت	١	١٢	٨	١٩	١٥	٢٦	٢٢	٣	٢٩	١٠
الأحد	٢	١٣	٩	٢٠	١٦	٢٧	٢٣	٤	٣٠	١١
الاثنين	٣	١٤	١٠	٢١	١٧	٢٨	٢٤	٥		
الثلاثاء	٤	١٥	١١	٢٢	١٨	٢٩	٢٥	٦		
الأربعاء	٥	١٦	١٢	٢٣	١٩	٣٠	٢٦	٧		
الخميس	٦	١٧	١٣	٢٤	٢٠	١	٢٧	٨		
الجمعة	٧	١٨	١٤	٢٥	٢١	٢	٢٨	٩		

جمادى الأولى ١٣٩٥										مايو – يونيه ١٩٧٥
السبت			٦	١٧	١٣	٢٤	٢٠	٣١	٢٧	٧
الأحد			٧	١٨	١٤	٢٥	٢١	١	٢٨	٨
الاثنين	١	١٢	٨	١٩	١٥	٢٦	٢٢	٢	٢٩	٩
الثلاثاء	٢	١٣	٩	٢٠	١٦	٢٧	٢٣	٣		
الأربعاء	٣	١٤	١٠	٢١	١٧	٢٨	٢٤	٤		
الخميس	٤	١٥	١١	٢٢	١٨	٢٩	٢٥	٥		
الجمعة	٥	١٦	١٢	٢٣	١٩	٣٠	٢٦	٦		

جمادى الثانية ١٣٩٥										يونيه – يوليه ١٩٧٥
السبت			٥	١٤	١٢	٢١	١٩	٢٨	٢٦	٥
الأحد			٦	١٥	١٣	٢٢	٢٠	٢٩	٢٧	٦
الاثنين			٧	١٦	١٤	٢٣	٢١	٣٠	٢٨	٧
الثلاثاء	١	١٠	٨	١٧	١٥	٢٤	٢٢	١	٢٩	٨
الأربعاء	٢	١١	٩	١٨	١٦	٢٥	٢٣	٢	٣٠	٩
الخميس	٣	١٢	١٠	١٩	١٧	٢٦	٢٤	٣		
الجمعة	٤	١٣	١١	٢٠	١٨	٢٧	٢٥	٤		

رجب ١٣٩٥										يوليه – أغسطس ١٩٧٥
السبت			٣	١٢	١٠	١٩	١٧	٢٦	٢٤	٢
الأحد			٤	١٣	١١	٢٠	١٨	٢٧	٢٥	٣
الاثنين			٥	١٤	١٢	٢١	١٩	٢٨	٢٦	٤
الثلاثاء			٦	١٥	١٣	٢٢	٢٠	٢٩	٢٧	٥
الأربعاء			٧	١٦	١٤	٢٣	٢١	٣٠	٢٨	٦
الخميس	١	١٠	٨	١٧	١٥	٢٤	٢٢	٣١	٢٩	٧
الجمعة	٢	١١	٩	١٨	١٦	٢٥	٢٣	١		

شعبان ١٣٩٥										أغسطس – سبتمبر ١٩٧٥
السبت			٢	٩	٩	١٦	١٦	٢٣	٢٣	٣٠
الأحد			٣	١٠	١٠	١٧	١٧	٢٤	٢٤	٣١
الاثنين			٤	١١	١١	١٨	١٨	٢٥	٢٥	١
الثلاثاء			٥	١٢	١٢	١٩	١٩	٢٦	٢٦	٢
الأربعاء			٦	١٣	١٣	٢٠	٢٠	٢٧	٢٧	٣
الخميس			٧	١٤	١٤	٢١	٢١	٢٨	٢٨	٤
الجمعة	١	٨	٨	١٥	١٥	٢٢	٢٢	٢٩	٢٩	٥

رمضان ١٣٩٥										سبتمبر – أكتوبر ١٩٧٥
السبت	١	٦	٨	١٣	١٥	٢٠	٢٢	٢٧	٢٩	٤
الأحد	٢	٧	٩	١٤	١٦	٢١	٢٣	٢٨	٣٠	٥
الاثنين	٣	٨	١٠	١٥	١٧	٢٢	٢٤	٢٩		
الثلاثاء	٤	٩	١١	١٦	١٨	٢٣	٢٥	٣٠		
الأربعاء	٥	١٠	١٢	١٧	١٩	٢٤	٢٦	١		
الخميس	٦	١١	١٣	١٨	٢٠	٢٥	٢٧	٢		
الجمعة	٧	١٢	١٤	١٩	٢١	٢٦	٢٨	٣		

شوال ١٣٩٥										اكتوبر – نوفمبر ١٩٧٥
السبت			٦	١١	١٣	١٨	٢٠	٢٥	٢٧	١
الأحد			٧	١٢	١٤	١٩	٢١	٢٦	٢٨	٢
الاثنين	١	٦	٨	١٣	١٥	٢٠	٢٢	٢٧	٢٩	٣
الثلاثاء	٢	٧	٩	١٤	١٦	٢١	٢٣	٢٨		
الأربعاء	٣	٨	١٠	١٥	١٧	٢٢	٢٤	٢٩		
الخميس	٤	٩	١١	١٦	١٨	٢٣	٢٥	٣٠		
الجمعة	٥	١٠	١٢	١٧	١٩	٢٤	٢٦	٣١		

ذو القعدة ١٣٩٥										نوفمبر – ديسمبر ١٩٧٥
السبت			٥	٨	١٢	١٥	١٩	٢٢	٢٦	٢٩
الأحد			٦	٩	١٣	١٦	٢٠	٢٣	٢٧	٣٠
الاثنين			٧	١٠	١٤	١٧	٢١	٢٤	٢٨	١
الثلاثاء	١	٤	٨	١١	١٥	١٨	٢٢	٢٥	٢٩	٢
الأربعاء	٢	٥	٩	١٢	١٦	١٩	٢٣	٢٦	٣٠	٣
الخميس	٣	٦	١٠	١٣	١٧	٢٠	٢٤	٢٧		
الجمعة	٤	٧	١١	١٤	١٨	٢١	٢٥	٢٨		

ذو الحجة ١٣٩٥										ديسمبر ١٩٧٥ – يناير ١٩٧٦
السبت			٣	٦	١٠	١٣	١٧	٢٠	٢٤	٢٧
الأحد			٤	٧	١١	١٤	١٨	٢١	٢٥	٢٨
الاثنين			٥	٨	١٢	١٥	١٩	٢٢	٢٦	٢٩
الثلاثاء			٦	٩	١٣	١٦	٢٠	٢٣	٢٧	٣٠
الأربعاء			٧	١٠	١٤	١٧	٢١	٢٤	٢٨	٣١
الخميس	١	٤	٨	١١	١٥	١٨	٢٢	٢٥	٢٩	١
الجمعة	٢	٥	٩	١٢	١٦	١٩	٢٣	٢٦		

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الأول المجلد الثالث والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

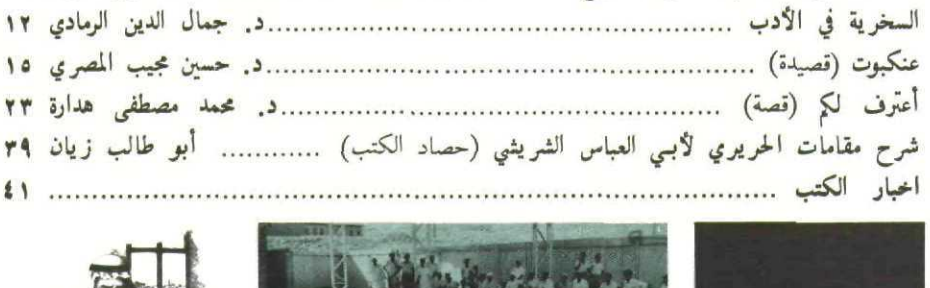
المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة

رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني أبو كشك

محتويات العدد

بحوث أدبية





بحوث علمية

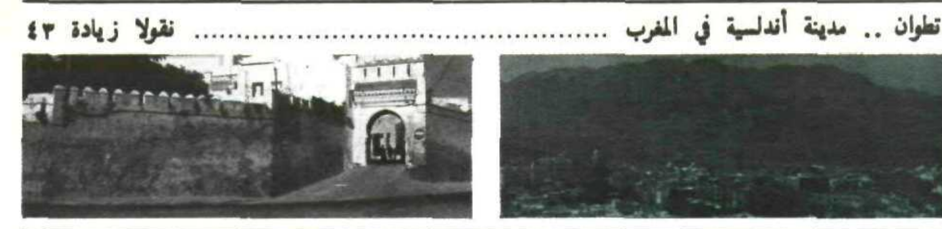






إستطلاعات مصورة





التعليق على صورة الغلاف

يعتبر طين الحفر من العناصر الرئيسية التي يعول عليها في حفر آبار الزيت ، ويبدو في الصورة برج للحفر يقوم بحفر بئر للزيت في «شدقم» بالمملكة العربية السعودية .

راجع مقال : «طين الحفر وأهميته لصناعة الزيت»

شركة مطابع المطوع – الدمام
AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAM

الفقه الاسلامي

بين واقعه المعاصر ومحاولات التجديد فيه

«٣»

بقلم: الأستاذ مناع القطان

لا يفوتنا في مستهل هذا المقال الثالث ان نذكّر القارىء الكريم بما تضمنه مقالنا الأول عن واقع الفقه الاسلامي التأليفي ، والدراسي والتطبيقي ، وبعض المحاولات التجديدية ، ثم بما تضمنه مقالنا الثاني عن مشروع موسوعة الفقه الاسلامي الذي بدأت نواته في كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وقد تحدثنا عن الحاجة الى الموسوعة على الصعيد الاسلامي ، وعلى الصعيد العالمي ، والممنا بالخطة التي انتهجها أصحاب ذلك المشروع . وقد تطور هذا المشروع فيما يسمى : مشروع المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ، كما وجدت مشروعات أخرى نتحدث عنها في هذا المقال .

مشروع المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة

أدت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م الى اتصال العلماء في البلدين ، واقتضى ذلك التعاون في مشروع الموسوعة الفقهية التي بدأت بها كلية الشريعة في جامعة دمشق ، فجددت الجمهورية العربية المتحدة مرسوم انشاء الموسوعة بالقرار الجمهوري سنة ١٩٥٩م واضيفت بهذا المرسوم اسماء أخر . وخلال سنة ١٩٦٠ كانت اتصالات عديدة بين رجال الموسوعة بدمشق ووزير الأوقاف بمصر أنشأ على أثرها وزير الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، وكان من بين لجان هذا المجلس لجنة لموسوعة الفقه الاسلامي ، ثم صدر قرار وزاري في سنة ١٩٦١م بتشكيل هذه اللجنة من السوريين والمصريين .

وكان من خطة اللجنة في هذا العمل [1]

• أن تكون الموسوعة مدونة ترتب موادها ترتيب حروف المعجم — مراعى في ذلك أول الكلمة والحروف التالية لها — كما ينطق بها من غير نظر الى أصلها .

• ان تكون اسماء ابواب الفقه مواد مستقلة — مصطلحات — توضع في ترتيبها الهجائي ، أما ما عدا ذلك فيتبع بشأنه ما تقرره لجنة المراجعة ، ثم اللجنة العامة .

• ان تكون الموسوعة جامعة لأحكام المذاهب الفقهية الثمانية : الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية والشيعة الامامية والزيدية (٢) والاباضية — وجمع ما في كل منها من الأقوال الا الاقوال الشاذة ساقطة الفكرة .

• ان يكون ايراد ادلة الاحكام في الاعتدال وبمقدار ما تستبين به وجهة النظر .

• ان تتناول الموسوعة مسائل أصول الفقة والقواعد الفقهية لارتباطها الوثيق بالاحكام الفقهية .

• **ان** وظيفة الموسوعة ليست الموازنة بين الشرائع ولا بين المذاهب الفقهية ولا ترجيح بعض الأقوال على بعض ، ولا نشر البحوث والآراء ، وانما وظيفتها جمع الأحكام الفقهية وترتيبها ونقلها في دقة وامانة بعبارات سهلة تساير أحوالنا من المراجع الفقهية التي تلقاها الناس بالقبول حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري وذلك دون تفرقة بين المعمول به وغير المعمول به الآن ، أما ما عدا ذلك مما ليس من وظيفتها الأصلية فيكون له ملحق خاص .

(١) أنظر الجزء الأول من الموسوعة ص ٥٩ (٢) الزيدية من الشيعة المعتدلين ، وهم أقرب الى أهل السنة ولذلك أفردوا بالذكر .



ثم انفصلت سوريا عن مصر سنة ١٩٦١م ، واثر ذلك في لجنة الموسوعة ، فان اعضاءها السوريين تعذر اجتماعهم ، ولذلك ألفت اللجنة تأليفاً جديداً سنة ١٩٦٢م ، وأعيد التشكيل مرة أخرى في آخر سنة ١٩٦٤م . وقد صدر من الموسوعة حتى الآن(٣) ثمانية أجزاء وآخر الجزء الثامن هو الكلام عن اسقاط .

مشروع جمعية الدراسات الإسلامية بالقاهرة

فكرت جمعية الدراسات الاسلامية بالقاهرة في أن تقوم بعمل مدونة للفقه الاسلامي ، لا يراعى في تدوينها ما يراعى في كتابة دائرة المعارف من استخلاص الاصطلاحات الفقهية وترتيبها ، بل تجمع أحكام المذاهب الثمانية (مذاهب السنة الأربعة ، ومذاهب الزيدية والشيعة الامامية والاباضية والظاهرية) في كل باب فقهي .

وتكونت لجنة لهذه المدونة من القضاة والأساتذة الجامعيين وأخذوا يجمعون النصوص من الكتب الفقهية الأصيلة ويضعونها في مواضعها ، وبدأوا بكتاب النكاح فجمعوا نحو ١٥٠٠ صفحة ، ولم يتجاوزوا أركان النكاح وشروطه .

ثم رأى مجلس ادارة جماعة الدراسات الاسلامية ان النفقات أكثر من الانتاج ، وقرر ان يستبدل بالمدونة انشاء موسوعة فقهية على حسب الحروف الهجائية ، فيتبع في ترتيب المصطلحات الفقهية ترتيب الحروف فحرف الهمزة ، ثم حرف الباء ، ثم التاء الى آخر حروف الهجاء ، باعتبار لفظ المصطلح مع غض النظر عن حروفه الأصلية والمزيدة .

ويراعى في الموسوعة أن تكون جامعة للتراث الاسلامي في الفقه وفق ما في المذاهب الفقهية الثمانية ، وقد تذكر آراء بعض الصحابة والتابعين التي وردت في الكتب المعتبرة مع العناية بذكر المصادر عقب كل بحث أو في الهامش .

كما يراعى أن يذكر في دراسة المذاهب الثمانية ما هو متفق عليه أولاً ، ولا حاجة الى تكرار عبارات الكتب ، وما يكون موضع خلاف يذكر المذهب الذي يكون عليه الأكثر ، ثم تذكر من بعد ذلك الآراء التي تخالفه ومنشأ الخلاف .

واعتبرت اللجنة أصول الفقه جزءاً من الثروة الفقهية ، فجعلته ضمن الموسوعة ، يذكر كل موضوع منه تحت مصطلحه .

وتواصت اللجنة ، برئاسة الشيخ محمد أبو زهرة ، بأن تكون الموسوعة سهلة نيرة واضحة بحيث لا تعلو على ادراك المثقفين ، ولا تنبو عنها أذواق المتخصصين ، بل يجد كل منهما ما ينقع غلته ، ويشبع حاجته ، من غير ان تتلوى عليه الطرق .

ومع نهاية عام ١٩٦٥م كان الجزء الأول من الموسوعة قد تمت كتابته شاملاً الموضوعات الآتية : المقدمة ، آل ، آب ، اباحة ، اباق ، أبد ، ابل ، ابن ، اتلاف وذلك في ٥٤٤ صفحة .

مشروع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

نشطت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت في احياء التراث الاسلامي ، وفي مقدمة ما قامت به من مشاريع « مشروع موسوعة الفقه الاسلامي » . وقد رصدت في ميزانية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ م مبلغ (٢٠٠٠٠)

(٣) ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م .

عشرين الف دينار كويتي للمرحلة الأولى للمشروع واستدعت خبيراً لهذه الموسوعة من مؤسسي فكرة مشروع موسوعة كلية الشريعة بجامعة دمشق هو الاستاذ «مصطفى الزرقا» .

وقد استكتب خبير الموسوعة عدداً من رجالات الفقه الاسلامي في بعض الموضوعات الفقهية على أن يكون البحث متناولاً لثمانية مذاهب : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والظاهري والزيدي والشيعي الامامي والاباضي .

وواصل رجال الموسوعة عملهم ، ونشرت طبعة تمهيدية لثلاثة نماذج من موضوعات الموسوعة :

- الأشربة .
- والأطعمة .
- والحوالة .

وقد كتب على غلاف كل منها : «ينشر بهذه الطبعة التمهيدية نماذج من الموضوعات الفقهية المكتوبة للموسوعة ، كل نموذج على حدة ، بصورة متفرقة ، وبرقم متسلسل ، دون مراعاة الترتيب الألفبائي بين عناوين هذه الموضوعات ، والغرض من هذا النشر التمهيدي لهذه النماذج تلقي ملاحظات الأساتذة ذوي الاختصاص ، للاستنارة بها في الطبعة النهائية للموسوعة بكاملها وترتيبها الألفبائي في صورتها الأخيرة بعد تمام تحريرها » .

وقد استبشر الناس كثيراً بتبني حكومة الكويت لفكرة موسوعة الفقه الاسلامي لامكاناتها المالية . واعتبروا هذه البادرة من الكويت ايذاناً بانتقال المشروع من دنيا الآمال الى دنيا الواقع . ولكن المشروع بعد أن نشر نماذج للموضوعات الثلاثة الآنفة الذكر توقف سنة ١٩٧٢م ، عسى ان يبعثه الله من جديد .

هذا وقد قدم الدكتور جمال الدين عطية مقترحات لمشروع الموسوعة (١) ضمنها انشاء معهد بحوث للشريعة الاسلامية يضم : مكتبة مخطوطات ، ويقوم بعمل معاجم لامهات مراجع الفقه ، وموسوعة لآيات الأحكام ، وموسوعة لأحاديث الأحكام ، وموسوعة للتشريعات الاسلامية ، وموسوعة أحكام القضاء الاسلامي ، وموسوعة الفقه الاسلامي ، ومدونة الفقه الاسلامي . واعتبر الدكتور جمال الدين عطية القيام بهذه المقترحات أمراً ضرورياً لا بد منه قبل الخوض في موضوع الاجتهاد ، لأنها أدواته ومقدماته . فاذا تم تنفيذها أمكن تكوين مجمع للفقه الاسلامي يضم المتخصصين في كافة بلاد الاسلام لابداء رأيهم على غرار المجامع العلمية الحديثة .

فتح أبواب الاجتهاد الجماعي

وينبغي ان نعلم ان هذه الجهود التي تبذل في موسوعات الفقه الاسلامي ويسير بعضها حيناً ويتعثر أحياناً قد تكون أداة معينة لأمر أهم وأخطر ، ذلك هو أمر الاجتهاد .

لقد تميزت الشريعة الاسلامية بأنها شريعة نامية حية بأصولها وقواعدها ، وقد أثبت أسلافنا الأوائل خصوبة هذه الشريعة بالاستجابة لمتطلبات العصر بما فيه حفاظ على الدين ، وعون على النهوض بالأمة . واذا كانت الحياة متطورة تعددت قضاياها من عصر لعصر فلا بدّ لرجالات الفقه الاسلامي من متابعة استنباط أحكام ما يجد من أحداث حتى لا ينحرف الناس عن الدين .

والأديان لا تعيش ولا تزدهر ولا تعود الى نشاطها او شبابها الا عن عن طريق الرجال النوابغ الذين يظهرون فيها حيناً بعد حين .

وقد تفتح العالم الاسلامي اليوم على مشكلات جديدة لم يكن كلها او جلها معروفاً في العصور السابقة ، وهي في حاجة الى أن يواجهها علماء الاسلام بالبحث والاجتهاد والتجديد .

ولا يتأتى هذا بالأبحاث الفجة التي يقدمها بعض الناس من حين لآخر تحمل طابع التجديد ولا يرى القارىء فيها سوى النظرة السطحية في الكتابة او الاستسلام أمام هذه القضايا بتطويع الإسلام لها وتحميل نصوصه وقواعده ما لا يحتمل منها حتى يساير الاسلام أوضاع المدنية الحديثة بخيرها وشرها عجرها وبجرها ، ولا يتأتى بمثل هذه الأبحاث انما يتأتى بالابحاث العميقة التي تسبر غور القضايا وترد فروعها الى أصولها لتزنها بميزان الفقه الاسلامي ، وتبتكر لها الأسلوب الجديد الذي ينمو بنمو الفقه والحياة معاً .

واذا تعذر الاجتهاد المطلق ، أو اجتهاد المذهب فان الاجتهاد الجماعي أمر ممكن . وهنا تأتي فكرة مجمع الفقه الاسلامي الذي يضم أشهر فقهاء العالم الاسلامي المستنيرين ويضم الخبراء المختصين في شؤون الاقتصاد والاجتماع والقانون والطب ونحو ذلك حتى يكون البحث الفقهي معتمداً على خبرة فنية ■

مناع خليل القطان
المعهد العالي للقضاء – الرياض

(٤) أنظر تراث الفقه الاسلامي ص ٨١ وما بعدها

ليلة الهجرة

للشاعر: محمد علي السنوسي

بين اشراقة الهدى من (حراء)   وانطلاق الشعاع نحو (قباء)
ليلة ما تنفس الصبح عن مثل سناها على ثرى الصحراء
فردة فذّة تنوء بسر أبيض   في دجنة سوداء
جثمت حوله تضم جناحيها   حنوا عليه كالورقاء
والسكون العميق يملأ قلب   الأرض والكون عامر بالرجاء
وعيون السماء من كل نجم   رصد للعصابة الرصداء
يطأ الأرض نورها في خفوت   ويرى لائذا بكل خباء
كمّ أنفاسه الدجى واقشعر الليل رعباً واربد وجه الفضاء
ومشت عصبة الجريمة والكيد   الى غاية لها نكراء
رسموا خطة القضاء على النور   وهبّوا كالزعزع النكباء
و(الرسول) العظيم كالطود ايماناً وكالنجم في السنا والسناء
يتحدى قوى الضلال بقلب   عامر باليقين والأضواء
رصدوا داره كما يرصد الجاني   وثاروا عليه كالغوغاء
وطغى مكرهم فشاه وشاهت اوجه مزقت رداء الحياء
ونجا (سيّد النبيين) والرسْل   محاطاً بهالة بيضاء
مرّ من بينهم مرور وميض البرق بين السحابة الدكناء
ورماهم بحفنة من تراب   كللت كل هامة جوفاء
وانثنى ينفض التراب رجال   نفض الله كيدهم في الهواء

* * *

ليلة ما تنفس الصبح عن مثل سناها على ثرى الصحراء
انها الليلة التي ولد العالم   في مهد فجرها الوضاء
لاح في ثغرها الفلاح على الكون وفاح الصلاح في الغبراء
وسمت في صباحها عزة الاسلام والمسلمين في علياء
واستدار التأريخ يملي على الدنيا سطور الرسالة الغراء
واذا تلكمو الصحارى حديث الفرس والروم من قريب وناء
واذا تلكمو (الجزيرة) يمتد سناها عبر الذرى والسماء
واذا (خالد) و (عمرو) و (زيد) فلك دائر على الأجواء
يرسلون الضياء في كل أفق   ويداوون كل سقم وداء
وينيرون بالعدالة والاسلام   درب الحياة والأحياء
ويهيبون بالشعوب الى الحق   نقيا من دعوة الأدعياء
حملوا مشعل العقيدة والايمان والعدل والحيا والوفاء
فانضوت في لوائها أمم الأرض وسارت صفوفها في استواء

محمد علي السنوسي – جازان

الألعاب الرياضية

بقلم : الأستاذ الغزالي حرب

قرأت قول امرىء القيس من معلقته المشهورة في معرض وصفه لفرسه المكر المفر المقبل المدبر :

دريــر كخذروف الوليد أمــره
تتابع كفيــه بخيــط مــوصــل

فذكرت لعبة من الألعاب الرياضية القديمة عند العرب وهي لعبة « الخذروف » التي يفسرها الزوزني شارح المعلقات بأنها « حصاة مثقوبة يجعل الصبيان فيها خيطاً فيديرها الصبي على رأسه » وقد شبّه امروء القيس فرسه في شدة السرعة بهذه الحصاة التي تدور بسرعة فائقة فوق رأس الصبي اذا احكم فتل خيطها وكان الخيط موصلاً . .

ثم قرأت قول طرفة بن العبد في مطلع معلقته متحدثاً عن حدوج عشيقته (المالكية) ومراكبها :

كأن حــدوج المالكية غــدوة
خلايا سفين بالنــواصف مــن دد
عدولية أو من سفين ابن يامــن
يجور بهـــا الملاح طــوراً ويهتدي
يشق حبــاب الماء حيزومهـــا بها
كما قسم الترب المفايــل باليــد

فذكرت لعبة أخرى من لعب العرب القدامى وهي لعبة « الفيال » او « المفايلة » وبيانها ان يجمع التراب بحيث يدفن فيه شيء ثم يقسم التراب نصفين ليسأل عن الدفين في ايهما هو ؟ فمن أصاب قالوا له : قمر بفتح القاف . . . ومن أخطأ قالوا له : قمر بضم القاف . . . أي أخطأ وضعف . . . والى جانب هاتين اللعبتين : لعبة الخذروف ولعبة الفيال او المفايلة نرى العاباً رياضية اخرى عرفها العرب قديماً ومنها لعبة عرفت باسم « عظم وضاح » وقد زاولها الرسول (ص) في صباه ، وخلاصتها انهم كانوا يأخذون عظماً أبيض ناصع البياض فيلقونه ثم يتفرقون في طلبه . . . في جنح الظلام . . فمن وجده منهم فله الغلب . . وقد يصغرون اسم هذه اللعبة فيقولون « عظيم وضاح » .

كما نرى الألعاب الرياضية الآتية : « القلاع » و « الربيعة » و « الأرجوحة » و « الرجاحة » و « الرهان » و « المراهنة » و « المصارعة » و « الرماية » و « الفروسية » و « المسايفة » و « المبارزة » و « السباحة » و « الرقص بالمشاعل او الرماح او الحراب » و « الكرة » و « الصولجان » و « الشطرنج » .

ولما جاء الاسلام بارك الألعاب الرياضية بعامة ولم ينكر منها الا ما يمت الى القمار بصلة قرابة او نسب كالأزلام ، وعني عناية خاصة بالرمي والفروسية والسباحة التي زاولها الرسول (ص) نفسه في فجر حياته — كما جاء في كتاب « آداب السلام » ومن ظواهر عناية الاسلام بالرياضة والألعاب الرياضية أنه اشاد بالقوة والأقوياء جوهراً ومظهراً ، جسمياً وروحياً .

كما دعا الى الرماية والفروسية والسباحة بأحاديث كثيرة يكفينا منها « علموا اولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » و « ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان رامياً » و « تعلموا الرمي فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة » .

وكذلك جمعه بين تعلم القرآن وتعلم الرمي الرياضي في حديث واحد شريف يقول « من تعلم القرآن ثم نسيه فليس مني ، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس مني » وفي رواية « فقد عصى » وفي رواية « فهي نعمة قد جحدها » .

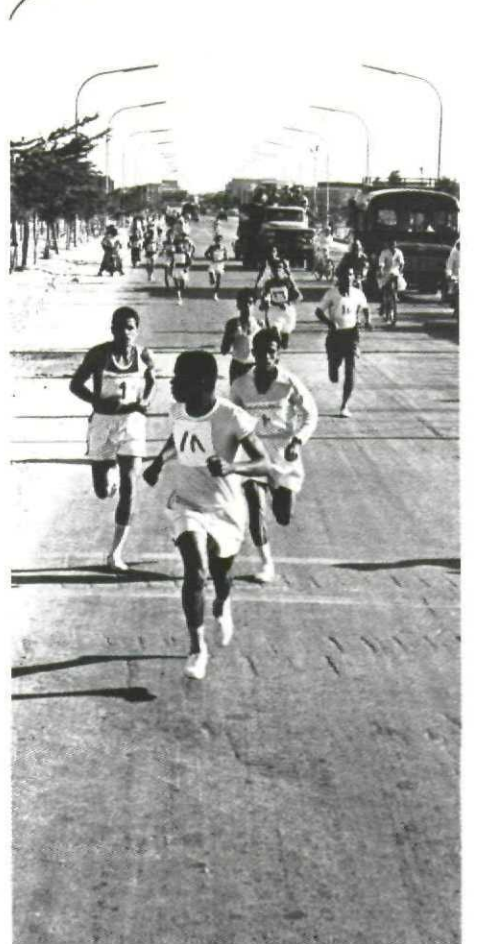
هذا بالاضافة الى انه يعيد الاعتبار الى البراعة في الرمي والمصارعة شفيعاً لصغار السن في الظفر بشرف الجهاد في سبيل الله ولهذا قبل الرسول (ص) رافعاً بن خوديج ، وسمرة بن جندب جنديين من أعظم جنود الجهاد الاسلامي على حداثة سنهما . ولنتطرق الى بعض من الألعاب الرياضية المعاصرة و القديمة :

السباحة

لقد عني بها العرب والمسلمون عناية تتمثل في الحديث الشريف السابق وفي وصاة عمر ابن الخطاب للآباء بها قائلاً « علموا اولادكم

في الشعر والتاريخ

السباحة والرماية»، وفي وصاة الحجاج الثقفي لمعلم ولده ان يعلمه السباحة قبل الكتابة ثم في الحوار الذي أجراه ابو المطهر الأزدي احد أدباء القرن الرابع في احد مؤلفاته بين أبي القاسم البغدادي وآخر ، وفي هذا الحوار يقول البغدادي مفاخراً ببراعته في السباحة على اختلاف الوانها — كما قال الدكتور زكي مبارك في كتابه : « النثر الفني (١) » : « انا والله اسبح من الضفدع ومن التنين . . واعرف من السباحة انواعاً لم يحسنها قط سمك ولا بط : اعرف منها الشق والذرع والغمر والاستلقاء والتزاور والشكلبي والطاوس والعقربي والمقرفص والموزون والكامل والطويل والمقيد . وكان استاذي في جميعها ابن الطوا .. والزنابيري » .. والى هذا المدى برع العرب في السباحة وألوانها وفنونها قبل ان تعنى بها اوروبا وامريكا بمئات الأعوام وقبل ان تصبح مادة دراسية جوهرية في مناهج التربية والتعليم بالسويد والنرويج وولاية كاليفورنيا التي لا يحصل التلميذ اليوم بها على شهادة الدراسة الثانوية الا بعد نجاحه في اختبار عملي في السباحة عشرين متراً على الأقل . . . وانصافاً للحقيقة والتاريخ نقرر ان روما لها فضل الأسبقية الى العناية بالسباحة التي انشأت لها حمامات مختلفة قبل ميلاد المسيح ببضع سنوات . وكانت بتلك الحمامات مغاطس تختلف درجات



حرارتها — كما كانت بها احواض خاصة بالتمرينات الرياضية .

لعبة كرة السلة

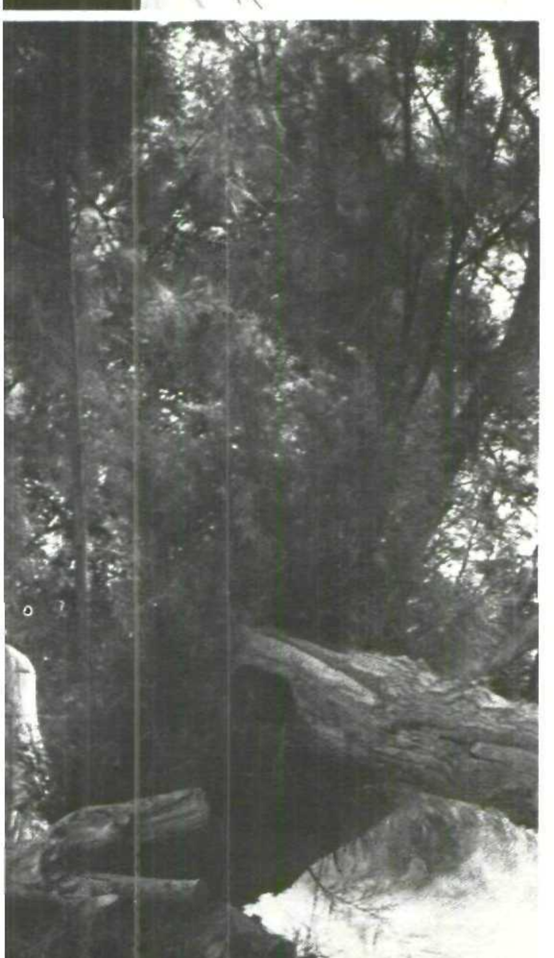
بدأت قصتها يوم ٢٢ فبراير ١٨٨٣م في امريكا حيث كان الجو بارداً والثلج يتساقط بعنف حول صالة جامعة « سبرنجفيلد » التي جلس مدرس الألعاب بها مهموماً حزيناً لأنه لا يستطيع مع طلبته في هذا الجو الممطر العاصف مزاولة أي لون من ألوان الرياضة . فخطر له تحت وطأة الحرمان ان يأتي بكرة وسلتين من سلال المهملات ثم طلب الى تلاميذه بين جدران صالة هذه الجامعة ان يحاول كل منهم قذف الكرة الى احدى هاتين السلتين ازجاء لوقت الفراغ . . وبدأ النشاط والدفء يسريان في عروق الطلبة وهم يتبادلون رمي الكرة في احدى السلتين للتسلية ومن هاتين السلتين . . انطلقت هذه اللعبة واخذت تنتشر وتتطور حتى صارت الى ما صارت اليه اليوم . . ومن الطريف ان مبتكرها « ناي سميث » قد الف فيها رسالة جامعية حصل بها على الدكتوراة . . .

لعبة البولو

أول من عرفها من الشعوب هم الشرقيون — كما شهد لهم بذلك العلامة « ول ديورانت » في

(١) ١/٣٤١





كتابه « قصة الحضارة » (٢) ذاهباً الى ان الشرقيين في ألعابهم ليس لهم ما للغربيين في العابهم من الفرح والمرح ، وان سلطان الهند « أكبر » هو الذي أدخل هذه اللعبة « البولو » الى الهند في القرن السادس عشر التي جاءت على الأرجح من بلاد فارس ثم شقت طريقها عبر التبت الى الصين واليابان « فلا عجب ان اشتقت كلمة « البولو » من كلمة في التبت تنطق « Pulu » ثم حولتها اللهجة الهندية الى « Polo » ومعناها كرة « Ball » .

لعبة كرة القدم

ان أول من عرفها الانجليز وذلك أيام احتلال الدانمرك لبلادهم ، حيث زاولوها اولاً بجماجم الموتى ، ورغبة منهم في التخفيف من ضراوة هذا المنظر الوحشي المرعب سموها « لعبة رفس جماجم الدنمركيين » — « Kicking the Danes Heads » لعل في هذه التسمية تنفيساً عما كان يعتمل في صدورهم من ثورة على الدانمركيين الغاصبين .. وبعد جلائهم عن انجلترا اصدر الملك هنري الثامن مرسوماً ملكياً بتحريم هذه الرياضة الناعمة التي لا تليق بخشونة الرجال — كما قال — ثم أصدر ادوارد الثاني يوم ١٣ ابريل ١٣١٤م قانوناً بتحريمها لأنها رياضة خشنة وحشية ، وفي عهد ريتشارد الثاني حرمت لهذا السبب نفسه .. واخيراً وبفضل التطور .. أصبحت هذه اللعبة من أفضل اللعب الرياضية الشعبية المحبوبة التي سماها الانجليز بعد ذلك « مدرسة التفاهم » وقال فيها الأدباء والشعراء شرقاً وغرباً ما قالوا من روائع البيان وحسبنا هنا قصيدة شاعرنا العربي المعاصر الاستاذ علي الجندي العميد السابق لكلية دار العلوم ونعني بها قصيدة « ملاعب الكرة » ومنها قوله :

لم انس موقفهم وقد شاهدتهم
يتجالدون بحومة الميدان
يتلقفون بحكمة ومهارة
كرة تطير كحائم العقبان
كل لها مترقب متربص
كالقط يرصد سانح الجرذان
يتنازعون الفوز فيما بينهم
وقلوبهم خلو من الأضغان

وقد أوجز الراحل عباس محمود العقاد مدارس كرة القدم في عصرنا الحديث فقال — رحمه الله — ما نصه : « يعرف خبراء كرة القدم اربع مدارس مشهورة لهذه اللعبة العالمية وهي :

« المدرسة الايقوسية » وهي التي تعتمد على الضربات القريبة مع ملاحظة اساليب الشخصيات اللاعبة التي تنتقل الكرة منها واليها لحظة بعد لحظة ..

« المدرسة الانجليزية » وهي التي تعتمد على الكرة نفسها وعلى اللاعب الذي يصادفها بعد وصولها اليه ، ولو ابتعدت المسافة بين من يرسلها ومن يتلقاها ..

« المدرسة الأوروبية » وهي تجمع بين الطريقتين على حسب المناسبة ، وتضيف اليها شيئاً من الاعيب الرشاقة والمناورة ..

« المدرسة الأمريكية » ويشرحونها على وجوه كثيرة اقربها الى الواقع انها توزع الحركة نصفين متعادلين بين خطة الدفاع وخطة الهجوم وبين الابتداء بالسرعة او تأجيل السرعة الى الأشواط الأخيرة .. »

لعبة الشطرنج

ورد في دائرة المعارف الفرنسية انه لا يعرف لميلادها أصل تاريخي محدد . وقال بعض المؤرخين ان مخترعها هو « بالاميد » في اثناء حصار طرواده ، وقال اخرون ان مخترعها هو حكيم الهند العريق « صوصة » في عهد الملك الهندي « تلمبيت » الذي عز عليه ان تكون للفرس لعبة « النرد » في عهد ملكهم « شيربابك » الذي كان معاصراً له ثم لا تكون للهند لعبة مثلها .. فلا عجب ان فرح باختراع حكيمه الهندي للشطرنج وعرض عليه ان يختار ما شاء من جزاء ومكافأة على هذا الاختراع .. الذي عرفته الهند قديماً باسم « شطرونجا » ثم عرفه القرن السادس الميلادي باسم « شاتورانجا » وعرفته القرون الوسطى باسمه اللاتيني « لودوس لاترنكولوروم » وعرفته اوروبا في القرن السادس عشر . ومن أشهر لاعبيه الأوروبيين القدامى : « فنسان » و « دي لوسينا » ، وأخذه العرب عن الفرس غير انهم كانوا يدعون الملك « شيخاً » لا « شاهاً » — كما كان الفرس يدعونه .

---

(٢) ١٩١/٣ و١٩٢

ومن اشهر لاعبيه العرب القدامى لاعبان : اولهما في القرن الثالث الهجري وهو ابو القاسم الشطرنجي الذي عاتبه ابن الرومي بقصيدته الطويلة الفياضة التي قاربت ثمانين بيتاً ومنها قوله :

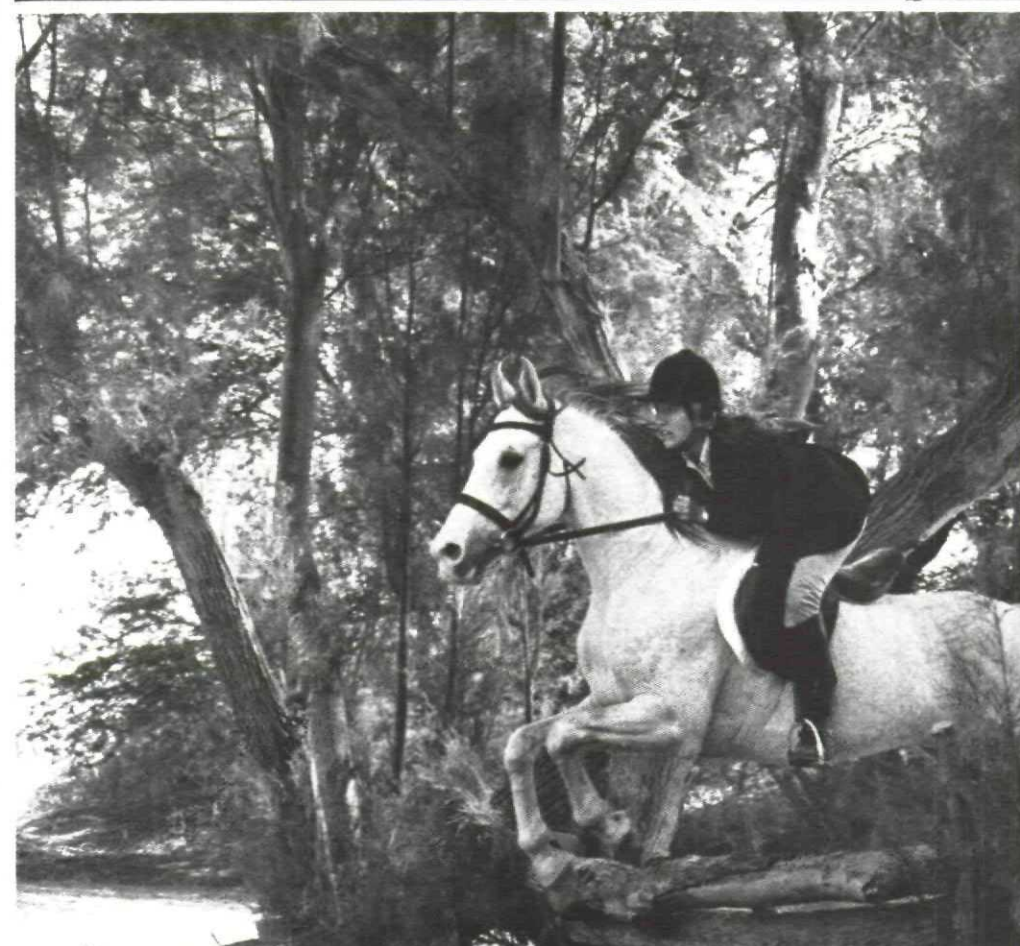
غلط النـــاس لست تلعـــب
بالشطـــرنج لكن بأنفس اللعباء
تنقـــل « الشاه » حيـــث شئت
من الرقعة طبّـــاً بالقتلة النكراء
تـــقرأ الـــدســـت ظـــاهراً
فتؤديـــه كأحفـــظ القـــراء

وثانيهما في القرن الثامن الهجري — وهو « النظام العجمي » الذي شهد له الصلاح الصفدي بالمهارة في لعب الشطرنج بدمشق عام ٧٣١هـ وفي مجلس الصاحب شمس الدين ومجلس الشيخ امين الدين سليمان رئيس الأطباء .

واستيفاء للحديث عن « الشطرنج » نعود الى هامش الجزء الثالث من « قصة الحضارة » فهو يقول : « الشطرنج من القدم بحيث ترى نصف الشعوب القديمة تدعيه لنفسها لكن الرأي السائد بين الباحثين في منشأ هذه اللعبة هو أنها نشأت في الهند ويقينا اننا نجد هناك أقدم شبيه لها مما لا يحتمل الجدل حوالي سنة ٧٥٠ ميلادية . وكلمة شطرنج بالانجليزية « Chess » جاءت اشتقاقاً من الكلمة الفارسية شاه ومعناها ملك وكلمة كش الملك بالانجليزية «Checkmate» هي في الأصل « شاه مات » أي « مات الملك » ويسميه الفرس « شطرنج » ولقد اخذوا الكلمة واللعبة كليهما من الهند وكانت اللعبة في الهند يطلق عليها اسم « شاطورنجا » ومعناها « الزوايا الأربع » — الفيلة والجياد والعربات الحربية والمشاة ولا يزال العرب يسمون القطعة التي هي بالانجليزية Bishop بالفيل .

ويَروي لنا الهنود اسطورة ممتعة يعللون بها نشأة اللعبة ، فتقول هذه الاسطورة انه في بداية القرن الخامس من التاريخ الميلادي اساء ملك هندي الى اعوانه المعجبين به من طبقتي البراهمة والكشاترية وذلك بأن اهمل مشورتهم ناسياً ان حب الشعب له هو أرسخ دعامة لعرشه فأخذ — برهمي يدعى سيسا — على نفسه ان يفتح على الملك الشاب باختراعه لعبة تكون فيها القطعة التي تمثل الملك —

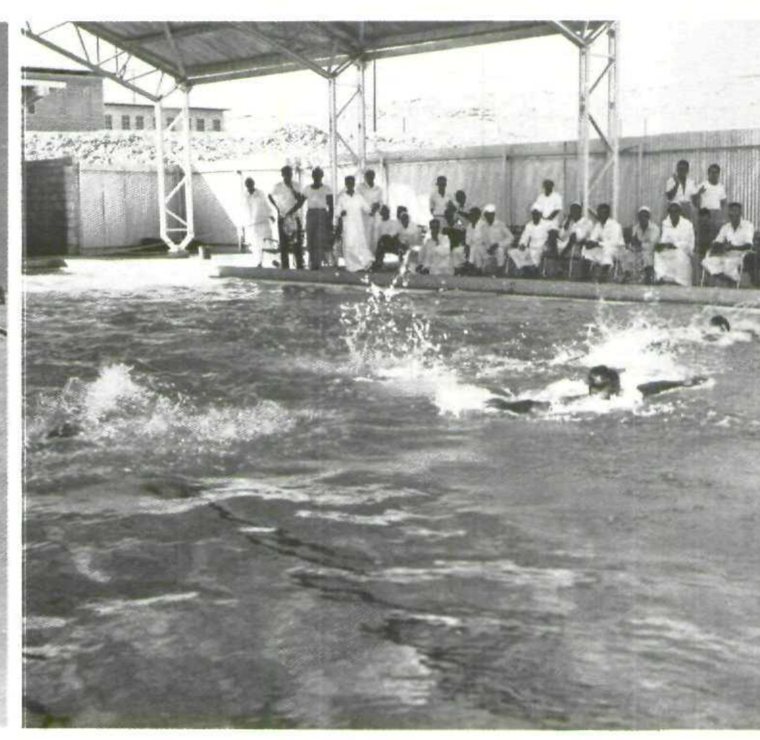


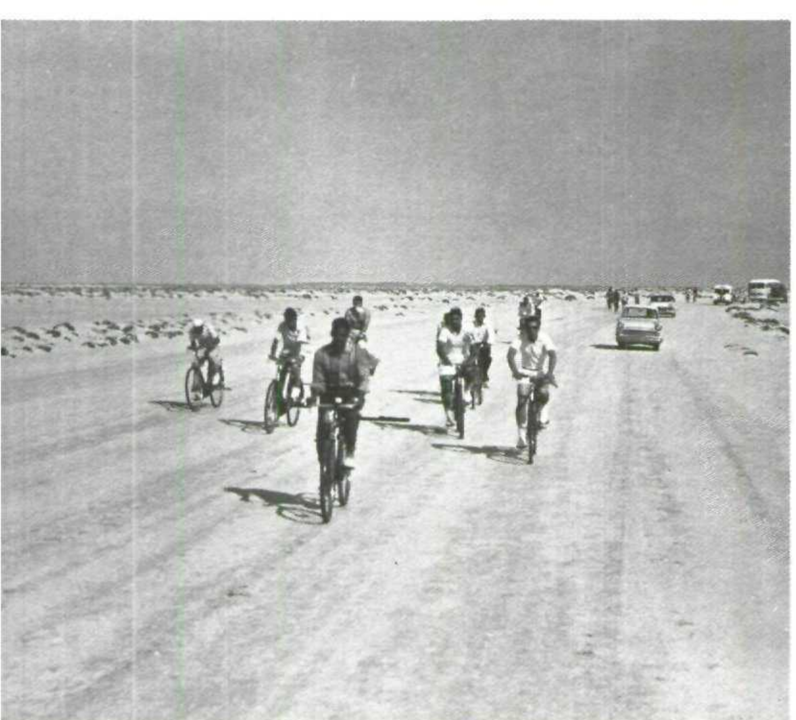


رغم سموها عما عداها في الجلال والقيمة (كما هي الحال في حروب الشرق) — ان تركت وحدها تكاد تتجرد من كل حول وقوة ومن ثم جاءت لعبة الشطرنج . ولقد اعجب الملك باللعبة اعجاباً دعاه الى انْ يطلب الى «سيسا» ان يحدد لنفسه ما شاء من جزاء فطلب «سيسا» في تواضع حفنة من أرز وانما يحدد مقدارها بأن توضع حبة واحدة من الأرز في المربع الأول من مربعات رقعة الشطرنج وعددها اربعة وستون ثم يضاعف في كل مربع لاحق عدد حبات الارز في المربع السابق ، فوافق الملك من فوره لكنه سرعان ما دهش اذ رأى ان وعده ذاك يقتضي ان يدفع كل ما في ملكه، فانتهز «سيسا» ابن عبدالله الجشمي وقد حببت الفروسية اليهم أمهم السيدة ريحانة بنت معديكرب شقيقة عمرو بن معديكرب الزبيدي فارس الفرسان . وتشهد معلقات العرب واشعار العصر الجاهلي أنباء الفروسية والفرسان ولا سيما عنترة وامرؤ القيس . وفي القرآن الكريم ورد ذكر الخيل في أكثر من سورة كما كانت للرسول (ص) فرس سباقة تسمى «الظرب» وقد أجاز راكبها الفارس البطل ببرد يماني .

كما عرف المسلمون في عصورهم على اختلافها باتقان العاب الفروسية ولا سيما «الصولجان» التي اخذوها عن الفرس او اليونان وكان هارون الرشيد من السباقين في المؤلفون العرب في ميدان الحديث عن الخيول وانواعها وانسابها وصفاتها وشياتها ولا سيما الخليل بن أحمد وابو عبيدة والأصمعي وغيرهم ، وبالاضافة الى ذلك فقد تنافس علماء اللغة وفقهاء الشريعة وفحول الشعراء في العناية بالفروسية والخيول مهتدين بالآية الكريمة **(ومن رباط الخيل ترهبون بهعدو الله وعدوكم)** وفي الحديث الشريف **(الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة)** .

ومن صفات الخيول السباقة التي خلعوها على الأناس السباقين في ميدان الحياة «المجلى» وهو الذي يسبق غيره بجسده جميعه و«المصلى» وهو التالي له و«المقصب» وهو الذي يحرز





هذه الفرصة السانحة واشار الى مولاه كيف يمكن للملك ان يضل عن جادة السبيل اذا ازدرى رأي مستشاريه .

لعبة الفروسية

احسبها اول واشهر رياضة بدنية عني بها العرب والمسلمون في مختلف عصورهم وعني بها علماؤهم وفقاؤهم وادباؤهم وشعراؤهم عناية فائقة وقد تأثرت بهم اوروبا في «اخلاق الفروسية» التي فاضت بها الآداب الاوروبية ولا سيما في العصور الوسطى نثراً وشعراً . ففي العصر الجاهلي اشتهر بالفروسية دريد وعبدالله وعبد يغوث وقيس وخالد أنجال الصمة «الصولجان» — كما قال المسعودي وغيره — وبنى أحمد بن طولون لألعاب الفروسية ميداناً خاصاً وعني بها خلفاء الدولتين : الفاطمية والايوبية ايما عناية ومن أشهر فرسان العصر الفاطمي أبو شجاع بن رزيك وصبيح بن الأفضل .

هذا وقد أنشاء الظاهر بيبرس ما عرف (بالميدانالأخضر) الذي طالما ذهب اليه للاشراف او التمرين او الممارسة لألعاب الفروسية وخلفه في ذلك — فيمن خلفه — الملك الاشرف خليل فاتح عكا وابن السلطان قلاوون الذي اشتهرت في عهده اسر عربية بتربية الخيول ولا سيما اسرة «مهنا» واسرة «فضل» . كما قد تنافس قصب السبق و«المبرز» و«التالي» «والبارع» «والذائد»وهذا الوصف الأخير عرف به حصان عربي أصيل للوليد بن عبد الملك الذي حرم على السائس ان يدخل عليه قبل استئذانه بتحريك مخلاة له مملوءة بالشعير فان صهل دخل عليه والا فلا . ولله در المتنبي الذي جمع في بيته التالي بين اصالة الانسان واصالة الخيل حيث قال :

كرم تبين في خلالك ماثلا
ويبين عتق الخيل من أصواتها ■

الغزالي حرب — القاهرة

السخرية في الأدب

بقلم: الدكتور جمال الدين الرمادي

السخرية فن قديم من فنون الأدب، والناظر في الأدب العربي والآداب الأجنبية، يلاحظ أن السخرية كانت منتشرة في هذه الآداب. وقد تستعمل هذه السخرية ابتغاء التلهي أو التسلي أو يكون الغرض منها التشفي. والأصل في السخرية على حد تعبير دائرة المعارف البريطانية النظر الى العيوب الانسانية والتهكم في المثالب الخلقية والنقائص الجثمانية، وكان «اركيلوكس – Archilockus» الأستاذ الأول لهذا الفن عند الأغريق، فمن خلال الآثار الأدبية التي وصلتنا عنه يمكن أن نستشف روح التهكم على المجتمع والسخط عليه والزهد فيه. وقد اشتهر غير «اركيلوكس» مثل «سومونيدس – Somonides» واشتهر كذلك «هيبوناكس – Hipponx» ولكن السخرية استعملت في الريف بمعنى أوسع، وما لبثت أن تفشت وانتشرت في الدراما واكتست بصبغة أدبية رائعة في أسلوب شعري ممتاز. وظهرت السخرية في شعر ارستوفان، وظهرت في ايطاليا عند كثير من الشعراء المقلدين لاثار الأغريق. أما عند الرومان فقد ظهرت السخرية في مسرحيات «هوراس – Horace» و«سيشرون – Ciceron» و«كنتيليان – Quintilian». وقد اصطبغ التهكم عند هوراس بصبغة فلسفية مهذبة ولكن عندما انقسمت الدولة البيزنطية ظهرت روح التهكم بشكل ملحوظ ملموس، وألف كثير من الأدباء القطع الساخرة الساحرة، ونظم كثير منهم الأساطير التي تدل على السخرية بطريق مباشر أو غير مباشر، وتنم عن التهكم بشكل ملحوظ أو مستور مثل «رينارد الثعلب – Reynard the fox»، وقد اشتهر صمويل بنلر في الأدب الانجليزي بروح التهكم والسخرية واشتهر جون دريدن بها كذلك، ولا سيما قصيدته «ابشالوم واكتيوفيل – Abshalum and Achitophel» ويمكن أن نعد «رحلات جيلفرلسويفت»، وبعض انتاج أديسون من الأدب التهكمي اللاذع، ولقد اشتهر فولتير في الأدب الفرنسي في القرن الثامن عشر بتهكمه الشديد وسخريته اللاذعة التي لا يجاريه فيها أحد، وذاع التهكم في الأدب الفرنسي منذ القرون الوسطى، وتمثل في القرن السادس عشر في شعر «دي بلاي – Du Bellay» و «رابليه – Rabelais» وقد اشترك الاثنان في تأليف أربعة مجلدات كما ظهرت السخرية كذلك عند «رينيه وماكت وبوالو – Boileau» وظهرت في القرن السابع عشر في الفن الشعري. أما في القرن الثامن عشر فقد ظهرت عند جلبرت واندريه شنيه، وجرت السخرية في القرن التاسع عشر في مجراها الطبيعي في الصحف والمجلات والأشعار وكان من أعلامها «اوجست باربيه» و «فيكتور هيجو» وغيرهما من شعراء القرن التاسع عشر. وظهر التهكم كذلك في ايطاليا عند اريستو في القرن السادس عشر بين عامي ١٥١٢–١٥١٣ وتصور السخرية عند اريستو حياة الشاعر، وأفكاره وروح العصر، وظهرت في ايطاليا عند الغيبري وارتين وكذلك امتدت الى المانيا فبدت في أدب «ويلند – Weiland» و«ليسنج – Leissing». ولو لم تطغ على شعر بيرون ووردز ورث روح العصر والوصف لكانا من أبرع شعراء السخرية في الأدب الانجليزي.

وبعد ثاكري من أبرع كتاب المقالة التهكمية في الأدب الانجليزي، وكذلك الحال مع شارلز ديكنز الذي كان قوي النظر في الحياة والأحياء وقد مثل ذلك عن جورج اليوت التي كانت متأثرة بغرض نبيل وهدف سام في نقدها، وقد مثل هذا عن بلزاك الذي كان كاتبا رساما للحياة الفرنسية ومثالبها ونقائصها، ولكن السخرية أخذت عند برنارد شو طابعا مميزا ممتازا حيث صبغها بصبغة الكاريكاتير، عندما ينقد المجتمع الانجليزي ويسخر من مقومات الحياة الحديثة وكذلك يصب جام غضبه على كثير من التقاليد البالية، وينقد نظام السجون ويكتب في ذلك

فصولا طوالا وهو يتهكم على الأدب الانجليزي ويرى أن شكسبير سرق فلسفته من « مونتني » وتاريخه من «بلوتارك» وموضوعاته من «بانديللو» ، ويرى أن الزمن كفيل بأن يغير كل شيء وبأن يتغلب دائما على المواصفات الاجتماعية والدينية .

والواقع أن السخرية على اختلاف الوانها وتباين صنوفها لا تتعدى أن تكون أحد أنواع أربعة تكلمت عنها دائرة المعارف الفرنسية لاروس ، وهي السخرية الدينية ، والسخرية الأخلاقية، والسخرية السياسية ، والسخرية الشخصية .

هذا حديث السخرية في الأدب الأوربي . أما اذا تلمسناه في أدبنا العربي فاننا واجدون بعض الوان السخرية في الأدب الجاهلي عند شعراء المعلقات وغير شعراء المعلقات ولكنها كانت سخرية بسيطة ساذجة ليس فيها تعقد الحضارة ولا تعصب المدنية ، وكانت مستمدة من البيئة الجاهلية والطبيعة الصحراوية . وقد أطلق مؤرخو الأدب على هذه السخرية هجاء . والهجاء لون من الوان السخرية . وهو ضد المدح في اللغة . أما السخرية فقد قال عنها الأخنس : سخر منك وضحك منه وبه ، وهزأ منه وبه كل يقال ، والاسم السخرية بوزن العشرية ، وقال تعالى : « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » والأصل في التسخير التذليل ، ولقد ظهرت السخرية في بعض الأشعار الجاهلية كما قلت ، ولكنها ظهرت في صدر الاسلام وعصر بني أمية بشكل أبشع وأشبع ، ولا سيما عند جرير والفرزدق اللذين كان يحاول كل منهما أن يقدح في الآخر قدحا عنيفا ذميما ، ويتفنن في الصور التي تحط من قدره وتصغر من شأنه ، بل قد يقذع في السخرية أقذاعا ويفحش في التهكم افحاشا فتدفعه السخرية الى ذكر العورات والحرمات دون تهيب ودون توقر ، وكذلك ظهرت السخرية عند الأخطل في بعض أشعاره ، ولكن عندما جاء العصر العباسي والتقت الثقافات المختلفة والحضارات المتباينة من تركية وفارسية وهندية ونصرانية يونانية ورومانية وجدنا الشعراء يلجأ كثير منهم الى التعصب والشعوبية ، ودفعت الشعوبية كثيرا من الشعراء الى السخرية والتهكم والهجاء . فكان الشاعر يفخر بأنه عربي ابن عربي سدى ولحمة كذلك ، ولأجل ذلك يتفنن الشاعر في عرض السخرية تفننا بديعا رغم أنها سخرية ان صح هذا التعبير ، ولكن ينبغي ألا ننسى أن الجمال ليس هو التعبير عن الشيء الجميل فحسب وليس الجميل على حد تعبير «ف. جاريت» معناه الصحيح أو المليح فحسب . وليس الجمال معناه السماء الزرقاء ولا القمر المتألق ، ولا الربيع المونق ولا الشجر المورق ، ولا الطير الصادح فحسب . وليس الجمال معناه الوجه الصبوح ، والعيون السوداء أو الزرقاء ، والشفاه اللمياء ، والشعور الشقراء أو الليلاء فحسب ، بل هنالك جمال آخر يتمثل في العاصفة الهوجاء والشيخوخة الموقرة ، ويتمثل في أنات الألم وصفحات المآسي .

فهنالك سخرية في الشعر العربي مضحكة الصور بشعة المناظر ، ولكنها جميلة الى أبعد حدود الجمال وهنالك سخرية في الشعر الأوربي فيها بؤس وفيها يأس ، ولكن فيها جمالا أخاذا. فبعض اللوحات الفنية عند «رامبراندت – Rambrandt » تصور الرجال المسنين القذرين ، وبعض التماثيل لـ«ميكل انجلو» تمثل الرقيق المهينين ، ولكنها رغم هذا كله لا تقل في روعتها عن أي صورة جميلة أو تمثال جميل . وهناك تصاوير أخرى لـ«ورد زورث» تمثل المتسول الذي يسير وئيدا ، وتصاوير لـ«توماس هاردي» لقاطع الأعشاب البائس اليائس وهو يجوب حيران أسفا بين المروج الخضراء ، لا تقل في قيمتها الفنية عن الصور الأخرى التي تمثل جمال الطبيعة أو جمال الوجوه والأجسام .

ولكن لم نذهب بعيدا وأمامنا أدبنا العربي وفيه صور متعددة عن السخرية في المنزلة الأولى من الجمال وقد ظهرت هذه السخرية في العصر العباسي كما قلت آنفا بشكل واضح ، ولا سيما عند بشار بن برد الذي كان شاعرا ساخرا الى حد بعيد ، وذكر صاحب الأغاني أن بشارا قال الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، ولما بلغ الحلم خشي من معرة لسانه ، وقال صاحب الأغاني كان بشار يقول (هجوت جريرا فبعد عني واستصغرني لو أجابني لكنت أشعر الناس) وقال الأصمعي (بشار خاتمة الشعراء ، والله لو أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم) وقال الأصمعي كذلك : (انه يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه) ، وكان يشبه بشارا بالأعشى ويشبه مروان بزهير : قال أبو خاتم (سألت أبا يزيد مرة أخرى عنهما فقال : مروان أجد وبشار أهزل) فحدثت الأصمعي بذلك فقال : (بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح الا لأحدهما) .

والواقع أن بشارا طرق باب الهزل كما طرق باب الجد ولجأ الى السخرية في جده وهزله وتفنن في عرض سخريته ، قال يسخر من عباس بن محمد :

ان الكريم ليخفي عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود

والواقع أن السخرية في هذا البيت بشعة الصورة الى أبعد غايات البشاعة ، قبيحة الى أبعد حدود القبح ، فقد صور بشار علل البخيل الذي يقتر في ماله ضاربا الأسباب مبديا المعاذير بعيون زرقاء على وجوه سوداء . ويمكن أن نتصور العيون الزرقاء عندما تطل

من أوجه سود فيبدو المنظر مرعبا رهيبا قد يرتجف منه جسدك ارتجافا وتقشعر منه أطرافك قشعريرة .

ولكن بشارا لم يكن الشاعر الساخر الوحيد في العصر العباسي ، انما جاء بعده شعراء ساخرون كأبي نواس . وكان أبو نواس شاعرا من أروع وأبرع الشعراء في السخرية ، لنتبين سلاطة لسانه وحدة بيانه وذكاء جنانه في قوله :

رأيت الفضل متكئا
يناغي الخبز والسمكا
فأسبل دمعه لما
رآني قادما وبكى
فلما أن حلفت له
بأني صائم ضحكا !

وليس من شك في أن هذه الصورة الساخرة تدعو الى الضحك حقا والى الاعجاب حقا ، ولكن الفن الهجائي الذي وصل الى ابن الرومي بعد بشار وأبي نواس كان سبابا وشتما ، وذكرا للحرمات والعورات في أكثر مظاهره وظواهره فاستغل ابن الرومي السخرية استغلالا حسنا ونأى عن هذه الأمور جميعا .

ويظهر ان ابن الرومي كان يستخدم هذا السلاح لأنه شعر بضعف في حسبه ، فكان اذا نكبه انسان سلط عليه لسانا قاسيا مرا ، وجرحه ليشفي غليله وينقع غلته ، فسخرية ابن الرومي سخرية أساسها الضعف والحرمان لعدم الحيلة وتلمس الوسيلة الى جانب أنه كان شخصا متطيرا الى أبعد حد ، وكان قلما يغشى المجالس ، ولا يحسن السياسة ولا مداراة الناس ولا مصاحبة الأصدقاء ولا خصومة الأعداء ، وكان ابن الرومي رقيق الاحساس الى حد بعيد ، لكثرة الفواجع التي المت بساحته والنوازل التي هدت كيانه ، الا أنه كان رائع التصوير صادق التعبير ، ومعانيه تميل الى التجسيم والتجسيد مبتكرة في أغلب الأحايين ، وقد قالوا أن عبقريته نوع من العبقريات اليونانية التي تتلخص في الحرص على الحياة والافراط في حبها والتعلق بلذاتها ولكن السخرية في شعره كانت تتخذ خطوطا كاريكاتيرية عجيبة . استمع اليه يقول في ذم بخيل :

يقتر عيسى على نفسه
وليس بباق ولا خالد
ولو يستطيع لتقتيره
تنفس من منخر واحد

وقد انتشرت السخرية بعد ابن الرومي عند المتنبي وأبي العلاء وغيرهما ، ولكن سخرية أبي العلاء كانت تمتاز الى حد ما بالحكمة والعبرة فمن ذلك داليته التي تعد من روائع الشعر العربي حيث يقول :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب
فأين القبور من عهد عاد ؟
خفف الوطء ما أظن أديم الا
رض الا من هذه الأجساد

انها سخرية لاذعة ، سخرية من العباد وسخرية من الحياة ليس بعدها سخرية ، تنم عن مذهب أبي العلاء واتجاهه الفلسفي في الحياة ذلك الاتجاه الذي اشتهر به في التاريخ .

وقد حاول كثير من الشعراء المعاصرين اللجوء الى السخرية فتفاوتت حظوظهم واختلفت أنصبتهم في القوة والضعف والجمال والقبح ، ونحن اذا ما بحثنا في النثر العربي عن السخرية وجدنا الكاتب الأول في هذا اللون الأدبي ذلك هو عمرو بن بحر الجاحظ الذي قال عنه المبرد : « ما رأيت أفصح من أبي هذيل والجاحظ » . وقد قيل لأبي هفان : « لم لا تهجو الجاحظ وقد هجاك » فقال : « أمثلي يخدع في عقله ؟ والله لو وضع رسالته في أرنبة أنفي لما أمست الا بالصين شهرة ولو قلت فيه الف بيت لما طن بيت في سنه » وكان الجاحظ يلجأ الى الألوان العقلية والفلسفية والمنطقية في عرض كثير من صور تهكمه ولوحات سخريته ، وقد يعمد الى نظرية الأوساط كما هو الحال في رسالة التربيع والتدوير التي أرسلها الى أحمد ابن عبد الوهاب فيتفنن في عرضها تفننا ويتنوع في أسلوبها تنوعا .

وقد لجأ الحريري الى السخرية كذلك في بعض مقاماته المشهورة على لسان أبي زيد السروجي الذي كان أديبا أريبا واسع الحيلة يجتذب اليه الناس بجواهر لفظه وسواحر كلمه وروائع صوره ونقداته وانتقالاته. ولكن ينبغي أن نعترف بأن السخرية في النثر العربي بوجه خاص لم تحتل مكانا كبيرا ، انما تناثرت هنا وهناك في بعض الآثار الأدبية لبعض الكتاب القدماء . ووجدت بعض مقالات ساخرة في العصر الحديث مأخوذة عن الأدب الأجنبي كما وجدت المقالة التي قد تعرض بعض صور السخرية بين ثناياها في ثوب أدبي قشيب .

يعتبر البشري في العصر الحديث الرائد الأول للأديب الساخر ، والناقد اللاذع . وقد كان ابراهيم عبد القادر المازني من أبرع الكتاب كذلك في هذا الميدان بيد أن المازني انصرف حينا الى الشعر وانصرف حينا آخر الى القصة ، وانصرف بعض الأحيان الى الدراسة الأدبية الرصينة .

ولم يغفل في أثناء ذلك كله المقال ، وكان بعض مقالاته يمتلىء بروح السخرية بيد أن هذه الروح لم تكن الروح المسيطرة على كل مقالاته .

أما عبد العزيز البشري فقد كانت مقالاته كلها تفيض بألوان مختلفة الأصباغ متعددة الصور والأشكال من السخرية ■



الستر اذ سدلت على غار النبي ... فالفجر قد أبدت لليل الغيهب (١)

أرخت نسيجاً كي تحقق غاية ... ونسيجها كالنور حول الكوكب

والرب ألهمها لتظهر آية ... فاعجب لروعتها اذا لم تعجب

من بيتها الواهي أقامت راية ... جعلت تطير بمشرق وبمغرب (٢)

وبسرها خلقت لضعف قوة ... قهرت بها هول العسير الأصعب

وبنسجها جالت وصالت صولة ... ما صالها الليث الهصور بمخلب

وكفت حبيب الله شر عدوه ... فليهنها تحقيق أكرم مأرب

عاد الكفور عليه لعنة كفره ... فاز الرسول وخاب كل مكذب

والفاتح السلطان أجرى ذكرها ... يوماً أمام المعبد المتخرّب

لما بنت في قصر قيصر بيتها ... أخذته نشوة حاكم متغلب

أنسته فيه مصيره ومصيرها ... من ريب دهر ظالم متقلب

ما ان رأى وهو البصير حريرها ... كفنا لميت في التراب مغيّب !

لم يتعظ بمآل ملك قبله ... البوم تندبه أمرّ المندب (٣)

أجرى الدماء لكي يخضّب نصله ... من شيبه ومضى برأس أشيب (٤)

يا ليت شعري كيف ينسى أصله ... واليه عودته كقطر الصيّب (٥)

كان التراب يطير في ريح عتت ... لتكون رقدته بجوف محصّب (٦)

وله الجحافل ألف أرض قد طوت ... وأمامها فرّ العدو كأرنب (٧)

حتى أتى يوم فجاد بنفسه ... أيفر ، كيف ؟ وماله من مهرب

أيذود عادية المنون بترسه ... أم حد سيف كالبروق مشطّب (٨)

فلقد مضى ولقد هوى في رمسه ... أيعود في يوم كمثل الغيّب ؟

يا من سكنت وما سئمت خرائبا ... ونعمت فيها بالمقام الأطيب

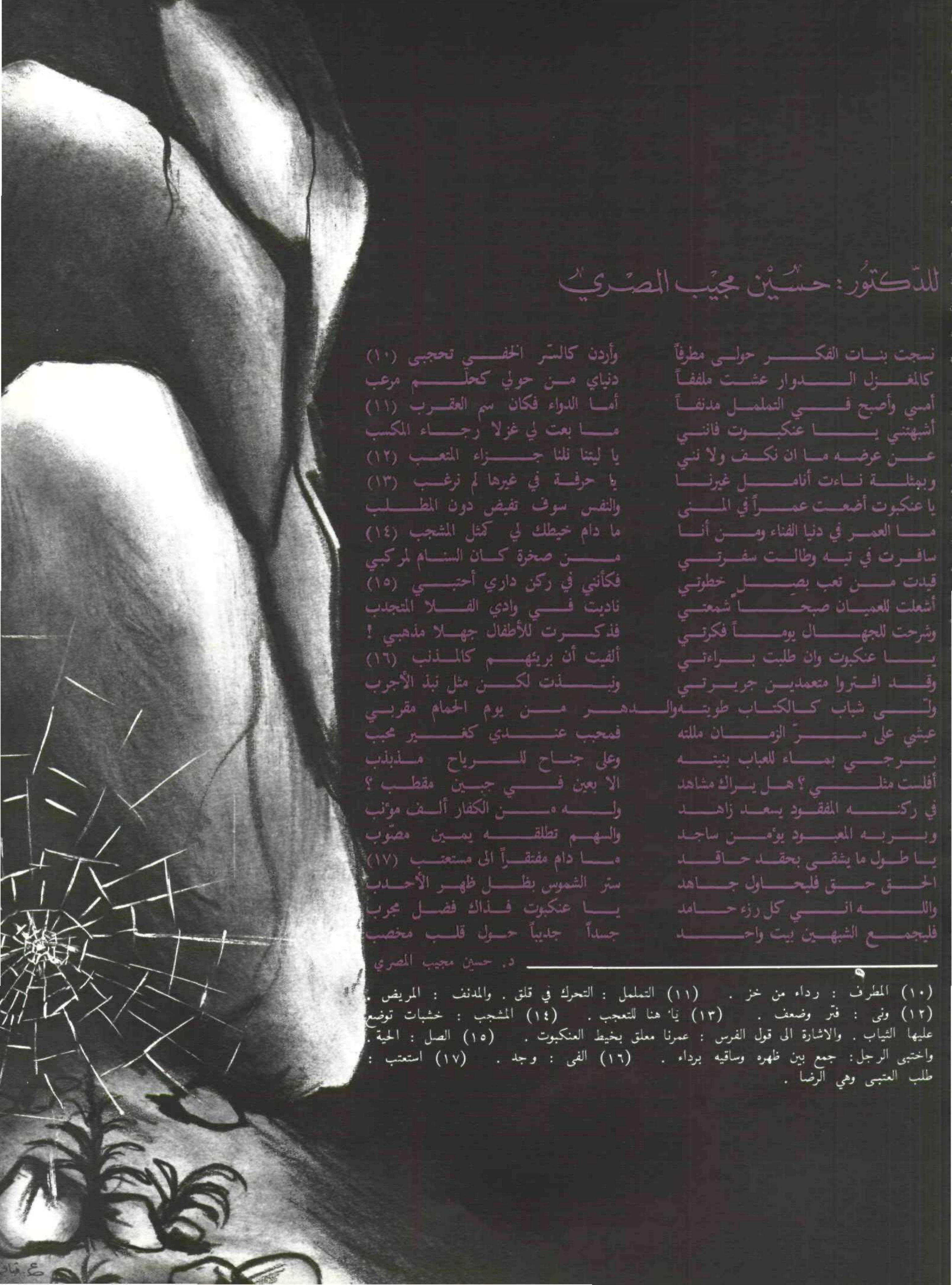
ذكرتني مما نسيت عجائبا ... خفيت على متفكر مترقب

فأنا سكنت من المنازل عامرا ... هدمت خرائبه وان لم أحسب !

وظللت من سخط عبوساً ثائراً ... بخيال مبتئس وقلب معذب (٩)

---

(١) الغيهب : الظلام . (٢) هي رأية الاسلام التي أظلت المشارق والمغارب (٣) لما دخل السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ ميلادية ، وقف بقصر متهدم وتمثل ببيت من الشعر الفارسي ترجمته (البوم تنفخ في البوق على قباب الأكاسرة ، والعنكبوت تتولى الحجابة في قصور القياصرة) . (٤) كأنما كان نصل سيفه أشيب وهو يتلألأ بياضاً فأراد أن يصبغه بالدماء ولكنه مات حين شاب رأسه . (٥) الصيب : السحاب الممطر ، وقطرة السحاب أصلها قطرة البحر ، واذا عادت اليه فقد عادت الى أصلها . وكيف ينسى الانسان أصله وهو التراب الذي يعود اليه .
(٦) المحصب : المكان الذي تبسط فيه الحصباء وهي دقاق الحصى ، والمراد هنا المقبرة .
(٧) الجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكبير . (٨) المشطب : السيف في متنه خطوط .
٩) المبتئس : الحزين ،



للدكتور: حسين مجيب المصري

نسجت بنات الفكر حولي مطرفاً   وأردن كالستر الخفي تحجبي (١٠)
كالمغزل الدوار عشت ملففاً   دنياي من حولي كحلم مرعب
أمسي وأصبح في التململ مدنفاً   أما الدواء فكان سم العقرب (١١)
أشبهتني يا عنكبوت فانني   ما بعت لي غزلا رجاء المكسب
عن عرضه ما ان نكف ولا نني   يا ليتنا نلنا جزاء المتعب (١٢)
وبمثلة ناءت أنامل غيرنا   يا حرفة في غيرها لم نرغب (١٣)
يا عنكبوت أضعت عمراً في المنى   والنفس سوف تفيض دون المطلب
ما العمر في دنيا الفناء ومن أنا   ما دام خيطك لي كمثل المشجب (١٤)
سافرت في تيه وطالت سفرتي   من صخرة كان السنام لمركبي
قيدت من تعب بصِلٍ خطوتي   فكأنني في ركن داري أحتبي (١٥)
أشعلت للعميان صبحاً شمعتي   ناديت في وادي الفلا المتجدب
وشرحت للجهال يوماً فكرتي   فذكرت للأطفال جهلا مذهبي !
يا عنكبوت وان طلبت براءتي   ألفيت أن بريئهم كالمذنب (١٦)
وقد افتروا متعمدين جريرتي   ونبذت لكن مثل نبذ الأجرب
ولى شباب كالكتاب طويته   والدهر من يوم الحمام مقربي
عيشي على مر الزمان مللته   فمحبب عندي كغير محبب
برجي بماء للعباب بنيته   وعلى جناح للرياح مذبذب
أفلست مثلي ؟ هل يراك مشاهد   الا بعين في جبين مقطب ؟
في ركنه المفقود يسعد زاهد   وله من الكفار ألف مؤنب
وبربه المعبود يؤمن ساجد   والسهم تطلقه يمين مصوب
يا طول ما يشقى بحقد حاقد   ما دام مفتقراً الى مستعتب (١٧)
الحق حق فليحاول جاهد   ستر الشموس بظل ظهر الأحدب
والله اني كل رزء حامد   يا عنكبوت فذاك فضل مجرب
فليجمع الشبهين بيت واحد   جسداً جديباً حول قلب مخصب

د. حسين مجيب المصري

---

(١٠) المطرف : رداء من خز . (١١) التململ : التحرك في قلق . والمدنف : المريض . (١٢) ونى : فتر وضعف . (١٣) يا هنا للتعجب . (١٤) المشجب : خشبات توضع عليها الثياب . والاشارة الى قول الفرس : عمرنا معلق بخيط العنكبوت . (١٥) الصل : الحية . واختبى الرجل: جمع بين ظهره وساقيه برداء . (١٦) الفى : وجد . (١٧) استعتب : طلب العتبى وهي الرضا .

هل يمكن الاستغناء عن المحراث؟



إنّ الاهتمام المتزايد بالنموّ السكّاني، والقلق من جرّاء نقص موارد الطاقة، جعل العلماء يطرقون كلّ سبيلٍ لتوفير الغذاء للناس وتيسير سُبُل العَيْش لهم. ومن خلال التجارب والأبحاث، التي أجروها خلال العقد الماضي، ثبتَ لهم فعّالية استخدام المبيدات الكيماويّة للأعشاب وتفوّقها، في بعض الحالات، على معدّات الحراثة.. القديم منها والحديث.

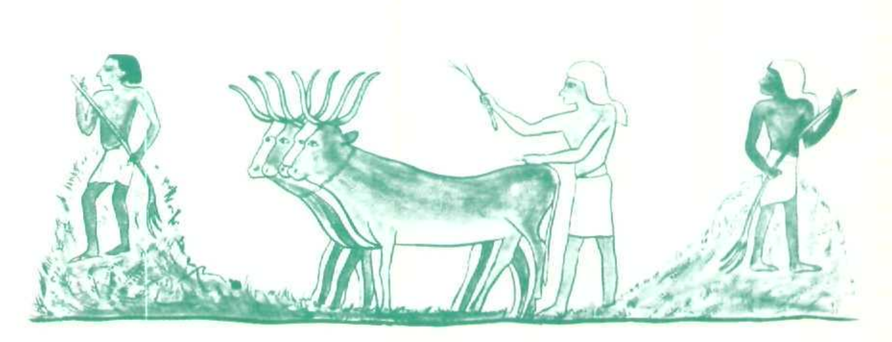


ان استعمال مبيدات الأعشاب يقلل من تعرض التربة الطينية لعوامل التشقق ويساعد على توفير طبقة صالحة لنمو البذور ، كما يبدو في الصورة اليمنى، بينما ظهر التشقق واضحاً في التربة الطينية في الصورة اليسرى .

لقد أخذ استخدام المواد الكيماوية في التخلص من الأعشاب البرية الضارة ينتشر في عدد من أقطار العالم ، الأمر الذي قد يجعلها تحل محل المعدات الميكانيكية التي تستخدم لذات الغرض . وهذا العمل من شأنه ان يخلص المزارعين من اعمال الحراثة المرهقة والباهظة التكاليف ، مما سيزيد في دخلهم ويحفظ تربة مزارعهم من عوامل التعرية . لكن ذلك يتوقف على مدى رغبة المزارعين في التخلي عن معدات الحراثة التقليدية المعروفة .

لقد ابتكرت المادة الكيماوية الحديثة في بريطانيا في أوائل الستينات من هذا القرن ، وجرى تصنيعها وتطويرها لتستخدم في الولايات المتحدة الامريكية حيث المزارع الواسعة والأراضي الخصبة . وهذه المادة الجديدة ويدعونها «براكوت- Paraquat » تقوم بابادة كل أنواع الخضرة بمجرد ملامستها النباتات وذلك باعتراضها لعملية التركيب الضوئي في النبتة . والميزة الفريدة في هذه المادة ان اثرها لا يتجاوز النباتات البارزة فوق سطح الأرض اذ انها أي المادة نفسها ينتهي مفعولها بمجرد ملامستها التربة ولا يعود لها اي مفعول يذكر . وعلى هذا الأساس يكون تأثير المادة مقتصراً على النباتات الصغيرة النامية حين اجراء عملية البذار ، كما أنها لا تشكل أي خطر على الحبوب ، التي بذرت عندما تنبت وتنمو .

والمعروف في اعمال الزراعة والفلاحة انه لا بد من اعداد الأرض ، او التربة ، قبل اجراء عملية البذار ، واعداد الأرض التي تروى بمياه الأمطار ، يتم عادة بُعيد هطول





المطر في اول الموسم . ففي ذلك الحين ينشط المزارعون بمعداتهم الزراعية ، على اختلاف انواعها واغراضها ، ويحرثون الأرض كي يقلبوا قشرتها السطحية ويبيدوا الأعشاب النامية فيها ثم يبذروا الحبوب بعد ذلك . وفي هذه الطريقة مشقة عليهم ، وعنت لهم ولدوابهم ، واستهلاك لمعداتهم وجهدهم ووقتهم في تلك الفترة القصيرة من الصحو الذي يعقب هطول المطر في أول الموسم .

أما الطريقة الحديثة ، التي تستخدم فيها المادة الكيماوية المبيدة للأعشاب فلا مجال لاستخدام معدات الحراثة ، وانما يكتفى برش تلك النباتات المضرة والتي يراد ازالتها وذلك باستخدام مادة البراكوت الآنفة الذكر . وبعد بضعة أيام تذوي تلك النباتات والأعشاب وتتساقط على الأرض مع بقايا سيقان واعواد نباتات المحاصيل السابقة مكونة بذلك طبقة من القش المتآكل تكون خير واق لجذور النباتات الصغيرة الغضة التي ستنمو فيها ، وتحفظها من البرد والحرارة ، وتقلل من تعرض التربة — وخاصة الطينية منها — لعوامل التشقق والتعرية . ثم يؤتى بمعدات البذار فتنثر الحب وتطمره في خطوط متوازية بالقدر المطلوب من حيث الكثافة والتوزيع . وفي الوقت نفسه ترش الآلة ذاتها الأسمدة اللازمة لإخصاب التربة ، ومادة كيماوية خاصة تحتفظ بمفعولها فترة من الزمن ، فتبيد الأعشاب البرية الضارة اذا ما نبتت ، ودون ان تؤذي نباتات المحصول فتنمو وتترعرع .

وهذا التقدم العلمي الحديث في المجال الزراعي يعكس الأفكار والتقاليد المتعارف عليها لدى المزارعين والتي تقول بضرورة حرث الأرض لقتل الأعشاب الضارة وتقليب التربة بقصد تعريضها للشمس واعدادها للزراعة . هذه التقاليد التي بدأت منذ عصر بعيد عندما بدأ الانسان يستوطن ويقيم في مجموعات تزرع الأرض وتفلحها لتوفر الغذاء النباتي لأفرادها . وقد بدأت أعمال الحراثة ، في مصر القديمة بأساليب بدائية وبمحاريث خشبية مصنوعة من

طائرة تقوم برش مادة « البراكوت » لإبادة الأعشاب





اغصان الشجر يجرها رجال او حيوانات مدجنة كالبقر او الجاموس ، ثم أخذ الانسان في تطويرها سنة بعد سنة وعصراً بعد عصر حتى أصبحت كما نراها اليوم : معدات ضخمة معقدة تقوم بالعديد من اعمال الزراعة والفلاحة في آن ، فهي تسمّد الأرض وتحرثها وتبذر الحبوب وتطمرها . كما طورت انواع منها لتقتلع الأعشاب الضارة ، وغيرها لأعمال الحصاد وقطف الثمار مما ساعد على زراعة مساحات شاسعة من الأراضي لتوفير الغذاء للملايين من البشر .

ومع تطوير هذه المعدات وتحسينها اخذت اثمانها تزداد وصارت اعمال الحراثة غالية التكاليف تستهلك الكثير من الجهد والمعدات والوقود اللازم لها . اضف الى ذلك أن الحراثة تعتمد على حالة الطقس ، كما أن حالة التربة تحدد فترة الحراثة والزراعة التي يمكن العمل خلالها والاستفادة منها . وبطبيعة الحال فان هذه الفترة الزمنية المحدودة التي يمكن الاستفادة منها تحول دون استغلال الكثير من الأراضي التي يمكن استصلاحها للزراعة .

وعلى هذا الأساس نشطت بعض الهيئات العلمية والزراعية لابتكار افضل الأساليب في هذا الميدان ، ففي اواسط الستينات ابتدأت التجارب الفعلية في عدد من المزارع في الولايات المتحدة الأمريكية باشراف بعض الجامعات الحكومية بقصد زراعة الأراضي دون القيام باعمال الحراثة المعهودة ، وجاءت النتائج مشجعة بل وباهرة .

لقد وجد الباحثون انه بالتخلي عن عملية الحراثة التقليدية الباهظة التكاليف يستطيع المزارعون اختصار الوقت والاستفادة من عدة أيام في أول الموسم يبذرون فيها حبوبهم ، الأمر الذي ينتج عنه نمو مبكر للنباتات وبالتالي محاصيل اوفر ، ثم اقتصاد في النفقات واستهلاك المعدات والوقود .

أضف الى ذلك ان الزراعة في القشرة العليا من التربة العضوية ، التي تكونت نتيجة تجمع اوراق وعيدان نباتات المحصول السابق

مقارنة بين نباتات زرعت بالطريقة التقليدية – الجزء الأمامي – من الصورة ، ونباتات زرعت بالطريقة الحديثة – الجزء الخلفي – حيث تبدو أطول نسبياً .







معدات زراعية متطورة تقوم بمهام عديدة منها رش مادة «البراكوت» المبيدة للأعشاب وتسميد الأرض وبذر الحبوب .

والتي ذوت وتساقطت بفعل المادة الكيماوية ، تقلل من تأثير عوامل التعرية الناتجة عن الرياح ، وتحفظ على التربة خواصها . كما أن بقايا الأدوية ومبيدات الحشرات ، التي استخدمت أثناء عملية البذار ، تظل مدة اطول في القشرة السطحية حيث تعيش وتتنقل معظم الحشرات والدويبات المضرّة بالزرع .

على ان الاختبارات والتجارب الحقلية الحديثة لم تكن كافية لاقناع المزارعين العاديين بالتخلي عن معدات الحراثة التقليدية والاقلاع عن عملية الحرث ، مما دفع احدى الشركات التي تعنى بصناعة المواد الكيماوية الى القيام بتمويل برامج تعليمية تهدف الى تنمية فكرة الزراعة دون حراثة ، وذلك من خلال منح تقدم لبعض الكليات والجامعات العلمية والزراعية ، وعن طريق اجراء تجارب وابحاث اضافية وعقد ندوات ومحاضرات يحضرها المزارعون والمختصون في هذا الشأن .

وكان اول من اقتنع بالأسلوب الحديث عدد من المزارعين الذين يملكون مزارع ذات تلال ومنحدرات ، الأمر الذي كان يعرضها ، لدى حرثها بالمعدات التقليدية ، الى عوامل التعرية التي تسببها الرياح ومياه الأمطار ، وباستعمالهم الأسلوب الحديث ظهر لهم انهم يحفظون على التربة خواصها ويحيلون المنحدرات الى اراض زراعية منتجة . ففي ولاية « اوهايو » الأمريكية مثلاً ، استطاع مزارع يدعى « هاري يونج » مضاعفة محاصيله الزراعية بالاستفادة من أرضه مرتين في العام باستعماله مادة أل « براكوت » ، بينما المزارعون في تلك المنطقة كانوا يكتفون بزراعة أرضهم مرة واحدة في العام . . بالقمح او الشعير مثلاً . فبعد حصاد القمح أو الشعير يقوم المزارع برش بقايا نباتات المحصول بالبراكوت فتذوي وتتساقط ، وبعد ذلك يقوم بزراعة الأرض مرة ثانية بالذرة الصفراء او فول الصويا مستفيداً من تلك الطبقة الناتجة عن النباتات التالفة . وما هي الا سنوات قليلة حتى انتشرت هذه الطريقة الحديثة في عدد من الولايات الأمريكية . وصار بالامكان الاستفادة من مئات الآلاف من الأفدنة بزراعتها مرتين في السنة دون حراثة ، باستثناء احداث شقوق سطحية تبذر فيها الحبوب . وباستغلال الوقت المتوفر ، نتيجة استخدام البراكوت ، استطاع المزارعون زراعة مساحات اكبر مما ساعد في زيادة محاصيلهم الزراعية وبالتالي نما دخلهم وقلت مصاريفهم .

إن مستقبل الزراعة الحديثة المعتمدة على الأساليب العلمية واسع غير محدود ، وكذلك الأمر بالنسبة لمادة « البراكوت » التي تستخدم في ٩٠ في المائة من الأراضي التي تزرع بدون حراثة . وقد زاد الاقبال على هذا الأسلوب الجديد في الولايات المتحدة بوجه خاص ، كما أخذ يشق طريقه الى أوروبا وانجلترا واليابان .

على ان الزراعة بدون حراثة لن تلغي قطعاً استخدام المحراث ، اذ لا بد من استعماله في الأراضي التي تعتمد الزراعة فيها على الري بالقنوات والاثلام ، وفي التربة المتماسكة ، والأراضي الباردة او الرطبة التي لا بد من حراثتها حتى تجف بعض الشيء وتصبح ملائمة للبذور . لكن الاهتمام المتزايد بالنمو السكاني المطرد ، في أرجاء المعمورة والحرص على توفير الغذاء لهم ، والقلق من جراء نقص موارد الطاقة وزيادة تكاليف العمل جعلت للزراعة بدون حراثة مكاناً ثابتاً بين مختلف المعدات الزراعية واجهزتها المتنوعة ، وحفظت لهذا الاسلوب الحديث موضع قدم يزداد رسوخاً مع الأيام ■

ابراهيم احمد الشنطي – هيئة التحرير

قصة

أعترف لكم ..

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

كنت مشغول الفكر بالعلم والكتاب ، تملأ حياتي روح البحث ، دائب السعي في جد لاتمام دراستي العليا ولو كانت في أقصى الأرض . ولم أكن أدري أن والديّ يدبران لي أمرا يتعارض مع أحلامي وخواطري . كنت ابنهما الوحيد ، وأحسا — مع تقدم السن بهما — ضرورة أن يريا في المنزل أطفالا يملأون صمته ضوضاء ، ويحيلون نظامه فوضى . ولم أستطع أن أقاوم توسلات أمي ودموعها بالاذعان لرغبتها ورغبة والدي ، ولم يتركا لي فرصة للتفكير في زوجة المستقبل التي سوف تشاركني حياتي ، بل وضعاني أمام التجربة ، مجردا من الرغبة وحق الاختيار . كانت ابنة خالتي التي اتفق والداي على أن تكون زوجة لي ، حائلة الصورة في خاطري ، لم أرها منذ كنا طفلين ، ولم يعد لها في مخيلتي غير صورة الطفلة الوديعة التي كان هدوؤها يضايقني ، وانصرافها عن اللعب معي يشعرني بكراهيتها والنقمة عليها . ولم تكن سعاد جميلة ، ولم تكن قبيحة ، هذا ما أذكره منها ، لم يكن فيها ما يلفت النظر أو يثير الاهتمام .

وتم الزواج ، وكنت أحس به شرا لا مفر منه ، وسجنا ينبغي لي أن أقضي فيه بقية العمر . وما كنت أظن أنه سيحول بيني وبين أحلامي التي كنت أسعى الى تحقيقها : السفر الى الخارج واتمام دراستي العليا ، ولكن هكذا كان . توالى قدوم الأطفال عاما بعد عام دون ارادتي ، وقلت لنفسي : أترك زوجتي وأطفالي في رعاية والدي ، وأرحل لتحقيق آمالي ، ولكن موت والدي ثم والدتي لم يتح لي تحقيق شيء مما كان في خاطري .

وأصبح الزواج في نظري نقمة تحول بيني وبين الاحساس بالسعادة في الحياة . ولم أستطع أن أكتم مشاعري . فكانت زوجتي سعاد تلقى مني كل يوم ما يسيء ، دون أن تتذمر ، أو تشكو ، أو أسمع لها صوتا . كانت حركة لا تهدأ في الدار ، تحاول بكل ما تملك من حيوية أن تهيىء لي الراحة والهدوء من غير أن تسمع مني كلمة رضاء . تصنع أشهى ألوان الطعام ، وتبالغ في العناية بنظافة البيت وترتيب الأثاث ، وتسرع لمنع هذا الطفل عن البكاء ، أو ذاك عن اللعب في وجودي ، وتجلس عند قدمي كالقط الأليف عندما أعود من عملي ، تعاونني في خلع حذائي وتبديل ثيابي . ولا أذكر أنني خرجت بها الى السوق ، أو الى زيارة أي قريب لنا . كنت أحس أنني أعاملها كآلة صماء بلا رغبة ولا احساس ، ولم يفلح أطفالنا الخمسة في ازالة الجدار الذي أقمته بيني وبين سعاد ، جدار النفور والاعراض . ولكنهم كانوا دائما عقبة أمام تفكيري في الانفصال عن زوجتي .

لقد مرت السنوات ، وأصبح من المستحيل عليّ أن أحقق أحلامي القديمة بالتخلي عن زوجتي ، ولكنني كنت أفكر في الأمر بصورة أخرى ، قلت لنفسي : ما دام الزواج صار شيئا محتوما ، فلماذا لا أبدأ من جديد اختيار الزوجة التي أراها مناسبة لي ؟! والتي أجد في ثقافتها ما يعوضني عن ضحالة ثقافة سعاد التي لم تتجاوز المرحلة المتوسطة ؟! ولكن أطفالي الخمسة أفسدوا عليّ تفكيري ، وان كنت لم أعدم وسيلة للخلاص من سعاد خلاصا مؤقتا . لقد خلا منصب مدير فرع الشركة التي أعمل بها ، فرشحت لشغله . ولما كان هذا الفرع يقع في مدينة بعيدة ، لهذا ظن رؤسائي أنني سوف أرفض المنصب ، ولكنهم فوجئوا بعدم ترددي



لحظة واحدة في قبوله . كانوا يجهلون أني وجدت فيه فرصة سانحة لأبتعد عن البيت وسعاد التي أحسست بها دائما عبئا على حياتي . قد استمعت في صمت الى قراري بالرحيل الى تلك البلدة وحدي ، ولم تسمح لنفسها بسؤالي عن أسباب ذلك القرار .

وحزمت حقائبي ، ورحلت الى حيث الحرية ، وحيث التفرد بلا شريك. وأحسست بعد أيام قلائل بوحشة ، قلت لنفسي : انها وحشة الغريب . ثم نمت تلك الوحشة ، فعللتها بأنها وحشة الوحدة ، وأنا لم أتعود الوحدة في حياتي قط . وازداد نمو الوحشة في نفسي حتى صارت غابة كثيفة ، وأحسست بشوق مجهول يتملكني . وقلت لنفسي : هذا أمر طبيعي لقد اشتقت الى أولادي ، على الرغم من أنني كنت أضيق بهم أحيانا ، لأنهم نتاج شركة ما كنت راغبا فيها . ولكن هأنذا الآن أحس شوقا طاغيا اليهم .. الى لعبهم وجدهم ، الى صخبهم وهدوئهم .

وكنت في أوائل أيام اقامتي بتلك المدينة التي انتقلت اليها ، مقبلا في سعادة على قضاء حاجاتي بنفسي ، ثم بدأت أستثقل أن أحضر لنفسي كوبا من الماء ، ولم أعد أتذوق أي لون من الطعام كنت أحبه . وأخذت صورة سعاد تلح على خاطري وهي تسعى في دأب لقضاء مصالحي ، وتوفير مطالب حياتي ، وأحسست نوعا من الرثاء لها والاشفاق عليها . وبدأت ملامح سعاد تتحدد في خيالي ، وتتضح شيئا فشيئا ، ويذوب من حولها ضباب الوهم . وبدا لي كأني أسترجع صورة لا أعرفها . ومن العجيب أنني رأيت سعادا أجمل بكثير مما ظننت ، بل أن جمال نفسها الذي ينعكس على جمال صورتها هو نفسه ما كنت أتمناه في امرأة تكون زوجة لي .

وتمنيت أن يكتب لي أطفالي رسائل تحكي أخبارهم ، وتروي صدى شوقي اليهم . وفي يوم من الأيام وصلت اليّ رسالة فضضتها في شوق ولهفة ، فوجدت فيها سطورا قلائل كتبها ابن عم لي :

«أخي ابراهيم : بعد التحية ، أبلغك بأن زوجتك كانت تشكو مرضا باطنا منذ أمد بعيد ، دون أن تزعجك بأمره ، فلما استفحل بعد رحيلك ، رأى الطبيب المعالج اجراء فحوص وتحليلات لمعرفة طبيعته . وقد قرر ادخالها الى المستشفى لاجراء عملية جراحية دقيقة بنــاء على نتائج الفحوص والتحليلات ، وأرجو أن تطمئن على حسن رعايتنا لها والسلام » .

وطويت الخطاب بعصبية في قبضة يدي ، وأصابني ذهول شديد انساني وجود بعض الموظفين والزائرين في مكتبي . ومرت أمامي صورة حياة سعاد معي في شريط طويل : سعاد في صمتها وهدوئها ، في أدبها وكمال أخلاقها ، في أدائها لواجبها وتفانيها في خدمتي ، في لهفتها عليّ حين أمرض ، وجزعها حين أتأخر . ولم أعد أشعر بشيء حولي ، بل لم أعد أرى شيئا .

كانت الدموع تملأ عينيّ والخطاب لا يزال في قبضة يدي . ولا أدري كم بقيت على هذا الحال ، فقد نبهني صوت أحد الموظفين الموجودين في مكتبي قائلا : ما الخبر يا سعادة المدير ؟ هل أنت بخير ؟ وهل من خدمة أؤديها . وعاد اليّ وعيي فقلت في سرعة : نعم ! نعم ! أنا بخير . احجز لي تذكرة على أول طائرة الى سعاد . . عفوا . . أقصد الى بلدتي ! ■

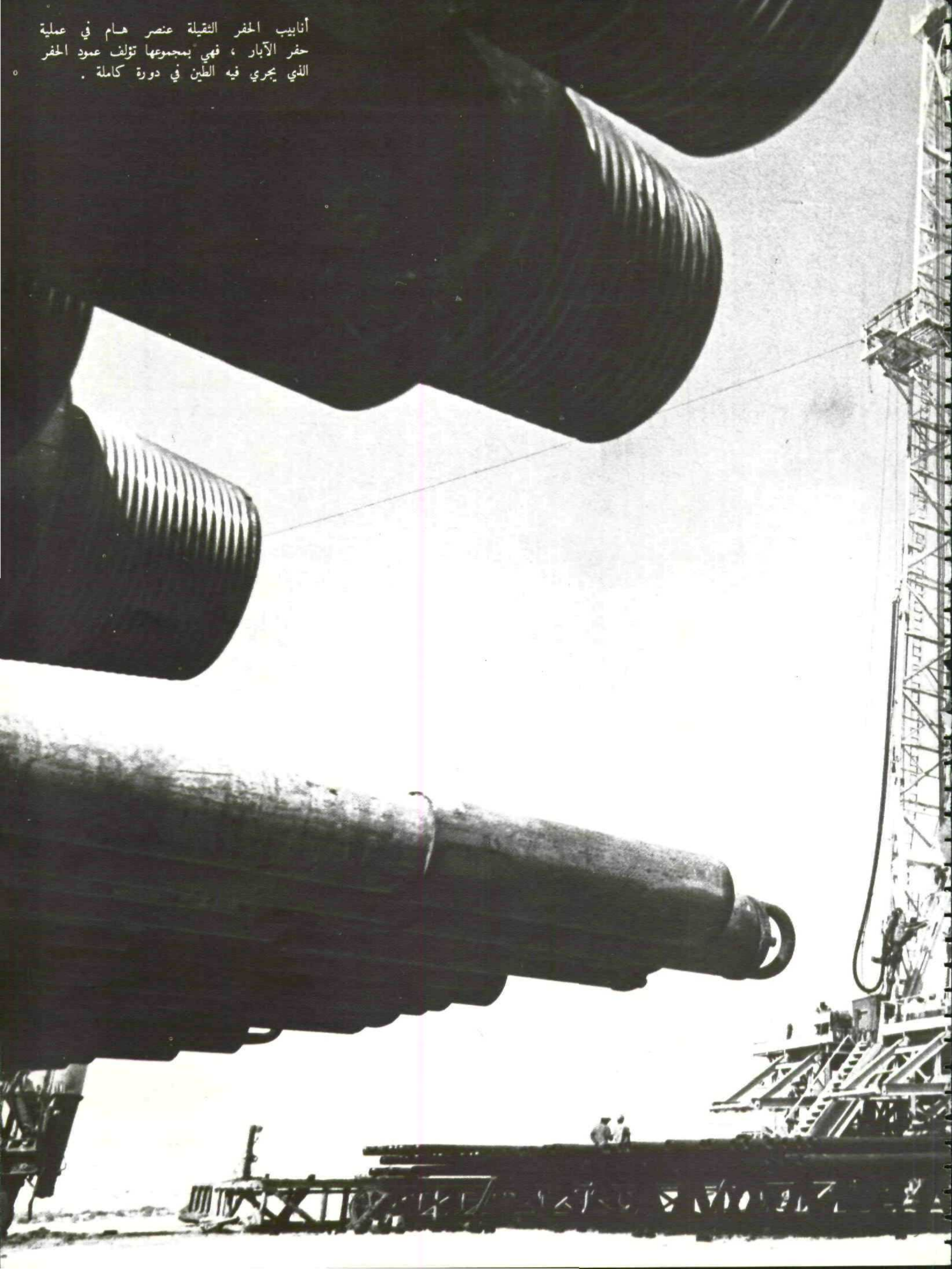
د. محمد مصطفى هدارة — الرياض

طين الحفر

وَأهمِّيَّتُهُ لصناعة الزيت



مراقبة طين الحفر من الأعمال الأساسية في عملية الحفر ، وها هو أحد العمال يغرف شيئا من الطين لفحصه .



أنابيب الحفر الثقيلة عنصر هـام في عملية حفر الآبار ، فهي بمجموعها تؤلف عمود الحفر الذي يجري فيه الطين في دورة كاملة .

عينة من الطين يجري فحصها في مختبر الخدمات الفنية بالظهران ، ويشاهد هنا أحد الفنيين السعوديين وهو يقيس سمك «كعكة الطين» وهي الطبقة الرقيقة التي تتخلف على جدران البئر أثناء عملية الحفر .



تاريخ استعمال أنواع طين الحفر المختلفة يمكن أن يشار اليه بثلاث فترات متباينة . الفترة الأولى ، وهي الفترة المبكرة من صناعة الزيت وتمتد من العصور القديمة وحتى انجاز البئر الأولى في حقل «سبندلتوب-Spindletop» في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠١ . وتعتبر هذه البئر أول بئر تم استخراج الزيت منها بكميات تجارية عن طريق استخدام الحفر الرحوي .

وأما الفترة الثانية فتمتد من عام ١٩٠١ الى عام ١٩٢٨ ، وكان المهندسون خلالها يجرون بحوثا ودراسات واختبارات عديدة الهدف منها ايجاد نوع من طين يتناسب مع متطلبات عمليات الحفر في ذلك الوقت . أما الفترة الثالثة والأخيرة من تاريخ استعمال طين الحفر فتبدأ من عام ١٩٢٨ وحتى يومنا هذا . وحري بالذكر أن المختصين في هذا الحقل يعدون الفترة الأولى حقل تجارب ، والثانية حقل خبرة ومران ، أما الثالثة فحقل علم وبحث ودراسة .

واذا ما عدنا الى العصور القديمة فاننا سوف نجد أن معظم الآبار قد حفرت لانتاج ماء الشرب ، ومع مرور الزمن أخذت عمليات الحفر تتقدم للبحث عن الماء المالح الذي أمكن استخلاص الملح منه ، وقد قام الصينيون بحفر الآبار العميقة بطريقة بدائية من أجل انتاج الماء المالح وذلك في عام ٢٥٦ بعد الميلاد تقريبا . ثم أخذت تلك الطريقة تتطور ببطء على مر السنين .

وسرعان ما انتقلت أفكار الحفر الصينية هذه الى أوروبا عن طريق المسافرين . وقد وصف أحدهم الطريقة الصينية والآلات التي استخدمت فيها بقوله :

كانوا يستعملون أداة حفر معدنية ثقيلة يصل وزنها في بعض الأحيان الى ٣٠٠ رطل ، وتتصل بأسلاك معدنية ، وبانزال ورفع أداة الحفر هذه أمكن للصينيين الأوائل أن يحفروا قدمين أو ثلاث أقدام في اليوم ، وكان لديهم الاستعداد لمواصلة الحفر لمدة ثلاثة أعوام من أجل انجاز بئر واحدة .

لقد كان الصينيون يصبّون عددا من براميل الماء في الثقب المحفور ، بين آن وآخر وذلك لجعل الصخور أكثر قابلية للتفتت وفي بعض الفترات كانوا ينزلون أوعية أسطوانية لنزح فتات الصخور من قعر الثقب . وهكذا فان الصينيين قد استعملوا الأنواع البدائية من طين الحفر في عملياتهم قبل بداية عمليات الحفر في العالم الجديد (أمريكا) بعشرات بل مئات السنين ، وكان ذلك لهدفين أساسيين :

جيولوجي سعودي يقوم باجراء فحص مجهري على فتات الصخور التي تخرج من البئر مع طين الحفر .



أولهما جعل الصخور لينة وطرية ، وثانيهما المساعدة على التخلص من فتات الصخور .

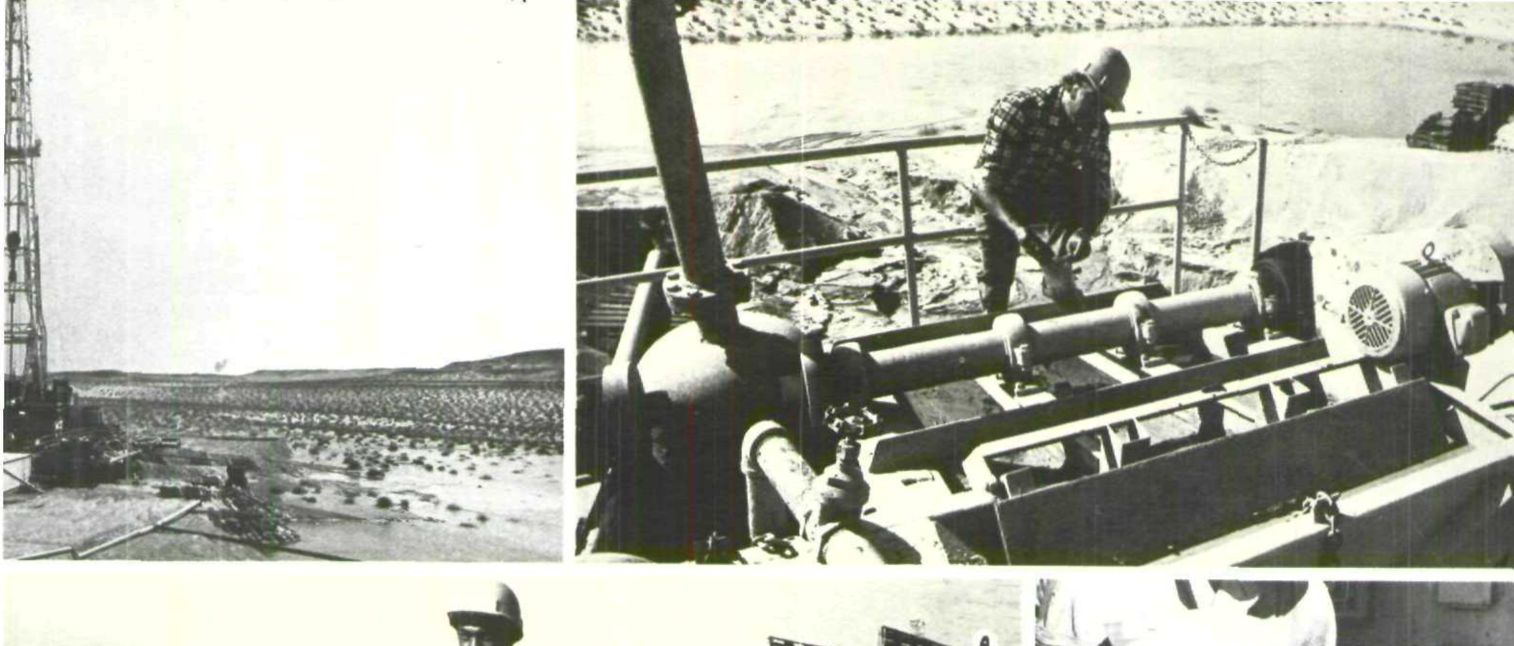
والحقيقة أن قدماء الصينيين قد استعملوا معظم الأدوات الأساسية ومختلف الطرق المستعملة في حفر الآبار في العصور الحديثة ، فقد بنوا أبراج الحفر وصمموا أنواعا مختلفة من « المثاقب - Bits » كما ثبتوا مواسير التغليف في الآبار بواسطة الاسمنت كما هو معروف الآن . ومما تجدر الاشارة اليه أن عددا ضئيلا من الآبار قد حفر في الطبقات الصخرية قبل القرن التاسع عشر ، هذا باستثناء ما حفره الصينيون ، وان معظم هذه الآبار قد حفر بالأيدي لأعماق ضحلة .

ويذكر معظم المؤرخين ، أن أول بئر حفرت في الطبقات الصخرية كانت في الولايات المتحدة الأمريكية وكان ذلك في ولاية فرجينيا الغربية في الفترة ما بين عام ١٨٠١ وعام ١٨٠٨ .

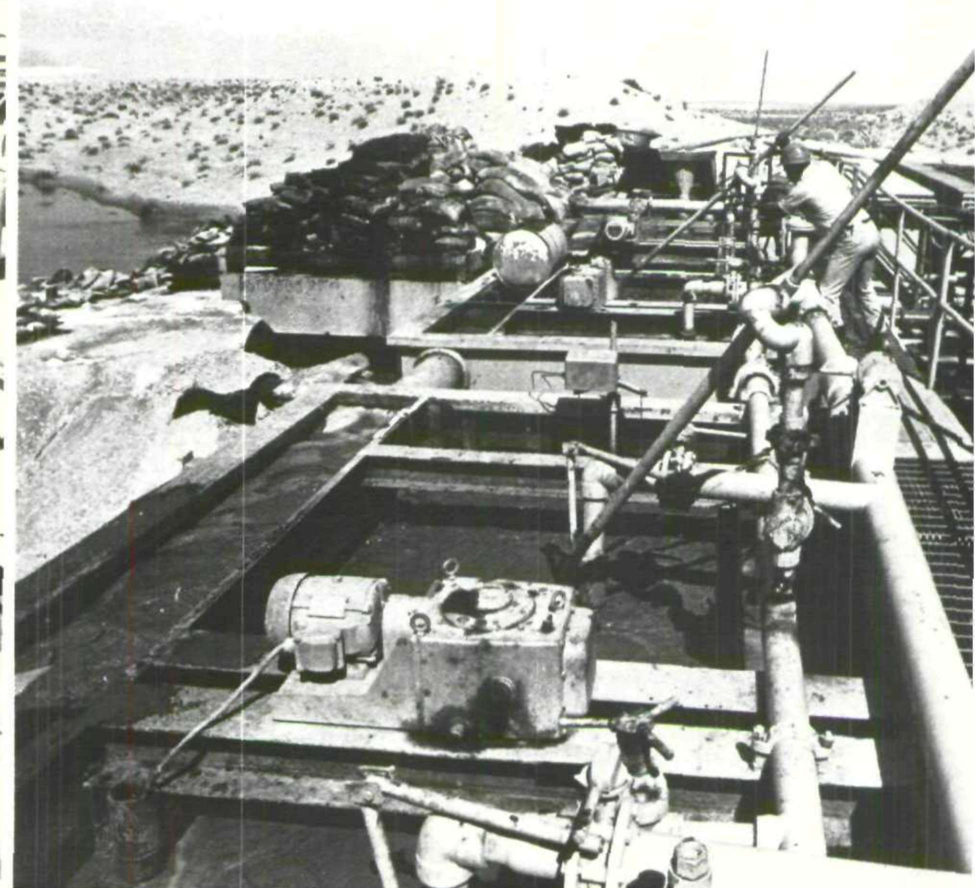
وقد أشرف على عمليات الحفر الاخوان « دافيد وجوزف رافنر - David & Joseph Ruffner » وقد استعملا القواعد الأساسية التي استعملها الصينيون من قبلهم . وحتى عام ١٨٤٥ ميلادية لم تكن هناك أية محاولة جادّة لاستعمال طين الحفر استعمالا فعّالا له صلة بأجهزة الحفر ومعداته ، حيث كان الحفارون يصبّون الماء في البئر للمساعدة على تليين الصخور وحمل فتاتها الى خارج الثقب أثناء الحفر .

وفي عام ١٨٤٥ ميلادية استطاع المهندس الفرنسي « فوفل - Fauvelle » أن يحفر أول بئر باستعمال تدفق الماء من خلال أدوات الحفر وذلك لتفتيت الصخور وحملها الى فوهة الثقب . وبذلك يُعد « فوفل » أول من استعمل طين الحفر على أساس علمي وعملي . وقد قام « فوفل » بتصميم مجموعة من الأدوات والأجهزة لاستعمالها في عمليات الحفر ، حيث ساعده في ذلك المهندس الانجليزي « بيرت - Beart » ، وكانت معداته عبارة عن قضيب من الحديد مجوّف وبداخله أنابيب حديدية متصل بعضها ببعض ، ويتصل طرف القضيب المجوف بمضخة . وقد استخدم « فوفل » طريقته هذه في حفر بئر لانتاج الماء بنجاح مما أتاح للمتأخرين فيما بعد استخدام هذه الطريقة في حفر آبار الزيت .

وقد انعش هذا العمل في نفوس القائمين على عمليات الحفر آنذاك ، الأمل في الوصول الى طريقة أجدى لاستعمال الماء كطين للحفر . فسجّل المبتكر « بولز - Bowles » عام ١٨٥٧ فكرته التي تقضي بدفع الطين في الحيّز ما بين جدران البئر وأنابيب الحفر ،







وارجاع هذا السائل في عمود الحفر المجوف . وفي عام ١٨٥٨ نشر «أوجست بير – August-Beer» المحاضر في مدرسة المناجم في « بريبرام – Pribram » في النمسا مقالا بعنوان « دراسة في ثقب وحفر الأرض» أورد فيه امكانية الحفر بالطرق الرحوية، ثم قام الكولونيل « دريك - Drake » بعد ذلك بحفر أول بئر زيت منتجة بكميات تجارية في أمريكا في الثامن والعشرين من شهر أغسطس عـــام ١٨٥٩ في ولاية بنسلفانيا .

وفي عام ١٨٨٢ ميلادية قام الاخوان «باكر – Baker» باستعمال أجهزة الحفر الرحوية في حفر آبار الماء في «يانكتون - Yankton» في ولاية «داكوتا-Dakota»، ومما يذكر أن الحفارين قد بدأوا في التعرف إلى أهمية الطين لاستعماله كسائل لعمليات الحفر بدلا من الماء وحده وذلك خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وهكذا بدأعلم « هندسة سوائل الحفر – Drilling Mud Engineering» حيث أخذ القائمون على عمليات حفر الآبار باضافة أنواع مختلفة من الطين والمواد الأخرى الى الماء لاستعمالها كسائل مساعد للحفر .

وظائف وخصائص سوائل الحفر

ان أول من استعمل طين الحفر بنجاح في صناعة الزيت هو «لوكاس – Lucas» عندما استخدمه في حقل «سبندلتوب – Spindletop» في عام ١٩٠١، وقد كان الماء السائل الأول الذي استعمله في عمليات الحفر الرحوي كسائل للحفر ، الا ان الحفارين قد أخذوا بعد ذلك ، في التعرف إلى أهمية خلط الماء بالمواد الطينية لتكوين سائل الحفر وباضافة مواد أخرى للتحكم في حفر طبقات الصخور المختلفة ، وبعد ذلك توصلوا الى استعمال المواد الثقيلة التي تضاف الى سائل الحفر لزيادة وزنه . وعندما زادت أعماق الآبار المحفورة تبع ذلك البحث عن أنواع جديدة من الطين تقاوم الزيادة في درجات الحرارة وتستطيع التحكم في ضغط طبقات الصخور وما تحويه من سوائل .

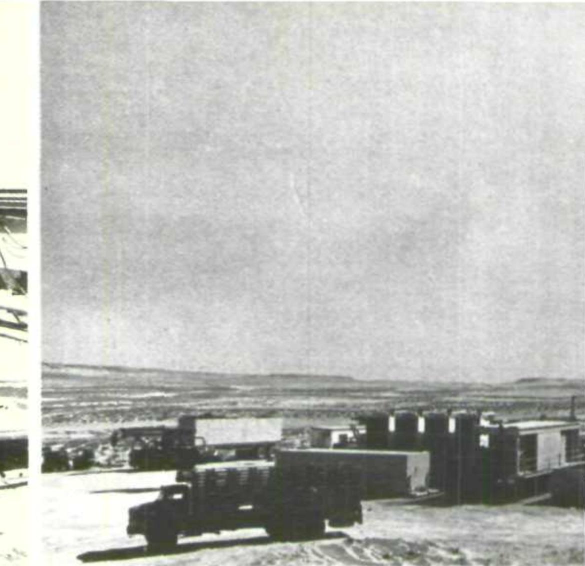
أهم وظائف سائل الحفر

وظائف طين الحفر كثيرة وأهمها أنه يبرّد الدقاق (المثقب) خلال عمليات الحفر ، بالاضافة الى أنه يحمل فتات الصخور الى

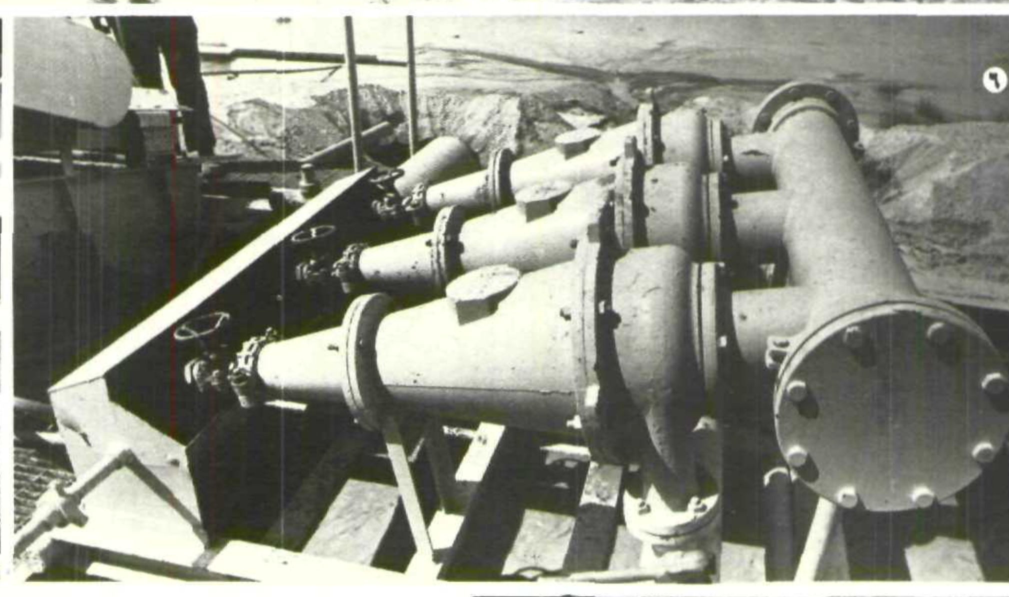
يقوم العمال بخلط المواد المكونة لطين الحفر في خزان الخلط .

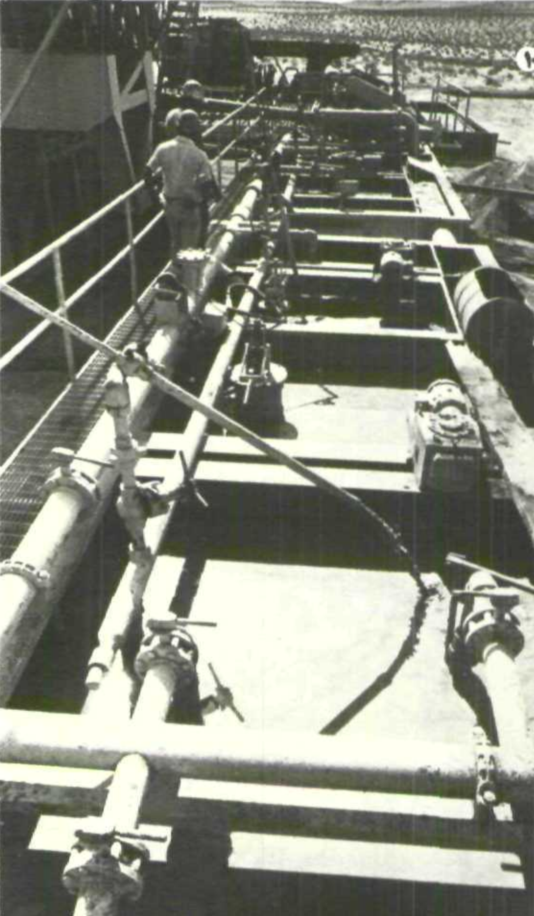












١ – أحد العاملين على جهاز الحفر وهو يضع فتات الصخور الخارجة من البئر مع طين الحفر في أكياس خاصة تمهيدا لارسالها للفحص في المختبر .

٢ – منظر عام لجهاز الحفر والمعدات المرافقة له .

٣ – يحتاج طين الحفر لدفعه الى أعماق البئر الى مضخات قوية .

٤ – بعد ملء القمع الخاص بالطين يقوم العامل بتعيين لزوجة الطين باستخدام «ساعة وقف» لتقرير الوقت الذي يستغرقه الطين للانسياب من فتحة القمع .

٥ – هذه الأكياس تحتوي على أنواع مختلفة من المواد التي تدخل في تركيب طين الحفر .

٦ – مجموعة من الصمامات على خط جريان طين الحفر .

٧ – تقرير كية الماء الذي يفقده طين الحفر هو أحد الفحوص التي يتم اجراؤها على جهاز الحفر وذلك لتكييف الطين عند الضرورة .

٨ – هذه هي خزانات طين الحفر ويشاهد أحد العمال وهو يستخدم خرطوما خاصا لتحريك الطين لمنع المواد المكونة له من الترسب .

٩ – يملأ هذا العامل قمعا خاصا بطين الحفر استعدادا لقياس لزوجته .

١٠ – أوعية تجميع طين الحفر حيث تبدأ المضخات بدفعه منها الى البئر .

خارج البئر ، وهو كذلك يمنع تصدّع جدران الآبار خلال الحفر وذلك بتكوين قشرة من الطين على سطح الجدران مما يؤدي الى تماسك الصخور الرخوة حيث يكون الفرق في الضغط ما بين ضغط طين الحفر الموجود في الثقب وضغط الصخور المحفورة وما تحويه من سوائل .

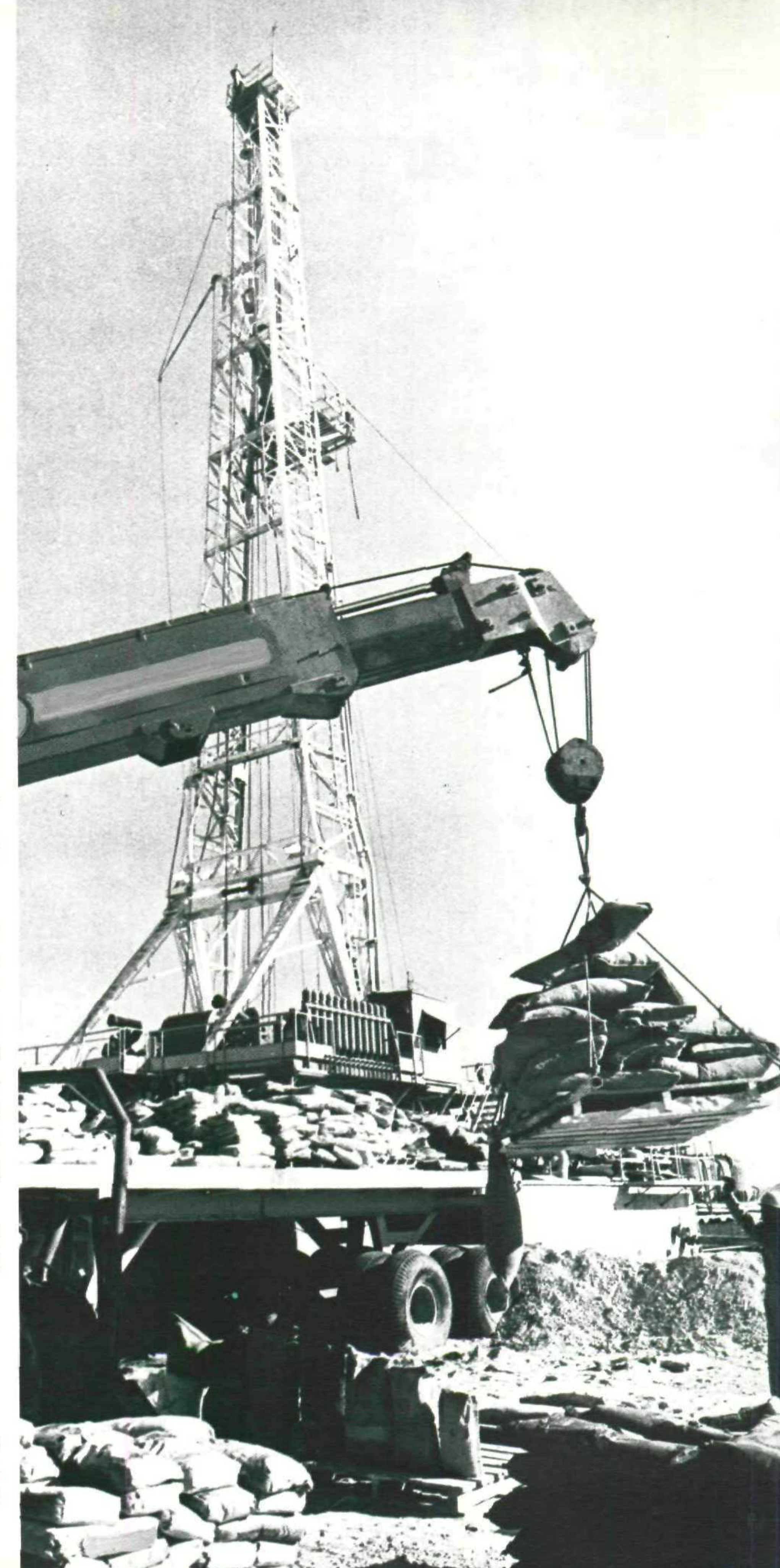
ومن الوظائف الهامة لطين الحفر أيضا التحكم في ضغط الآبار عند حفرها ، اذ أن الضغط الناجم عن طين الحفر يؤدي الى منع تدفق أي غاز أو ماء أو زيت الى السطح وبالتالي يمنع وقوع أي انفجار على فوهة البئر ، ويتم هذا التحكم في الآبار باستخدام أنواع الطين المختلفة ذات الاضافات المتباينة لتناسب الآبار حسب اختلافاتها .

ومن الوظائف الأخرى لطين الحفر أنه يؤدي الى تزييت أنابيب الحفر وجدران البئر وأنابيب التغليف والمثقب . ومن الوظائف ذات الأهمية بالنسبة لطين الحفر أنه يحتفظ بالمواد الصلبة عالقة به ولا يسمح بترسبها في قعر البئر وبذلك تبقى فتات الصخور عالقة به حتى بعد القطع ومن ثم يتم دفعها الى خارج البئر بضخ كميات اضافية من الطين من السطح خلال أنابيب الحفر .

الأنواع المختلفة لطين الحفر

تختلف أنواع طين الحفر اختلافا شاسعا في التركيب بعضها عن بعض، ويمكن تقسيمها حسب النوع وتركيب السائل المكوّن للطين ، الى قسمين : طين الحفر الذي أساسه الماء «Watr – base mud» وطين الحفر الذي أساسه الزيت «Oil – base mud» . وتتكون أنواع طين الحفر في العادة من السائل، «والمواد الصلبة الغروية – Colloidal Solids» «والمواد الصلبة غير الغروية – non-colloidal Solids» والمواد الكيميائية الذائبة في السائل .

ويعد السائل المرافق أكبر حجماً في أجزاء طين الحفر ، أما من حيث الأهمية فان المواد الصلبة الغروية هي العامل المهم في تعيين صفات



تستخدم كميات كبيرة من المواد اللازمة لتجهيز طين الحفر ولذا يتطلب هـذا الأمر توفر رافعة لانجاز العمل .



فحص طين الحفر قبل دفعه في البئر أمر ضروري للتأكد من صلاحيته للتكوينات الصخرية التي يجري الحفر فيها .

يحرص القائمون على عملية الحفر على وزن طين الحفر في فترات منتظمة حفاظا على خواصه المقررة .

ونوع العمل الذي يقوم به طين الحفر ، وهذه المواد الغروية الصلبة في معظمها هي أنواع من الطين الخزفي (الطفلة) مثل « Bentonite » أو من الغرويات العضوية المصنّعة .

ويمكن الحصول على أنواع أخرى من طين الحفر مثل الطين الناتج عن مستحلب الزيت في الماء العذب أو الماء المالح وكذلك أنواع الطين الناجمة عن المستحلبات المختلفة للزيت . ان أنواع الطين الغروية المكوّنة للصفات الهلامية هي مهمة جدا لطين الحفر ، وهي التي تعطيه كثيرا من الصفات والخصائص الضرورية للحصول على سائل جيّد ومناسب للحفر ، ومما تجدر الاشارة اليه أن ذرة الطين الغروي دقيقة جدا وتتكون في الأساس من معدن « Montmorillonite » مع الصوديوم .

وهذه المواد الطينية غير العضوية التي تكوّن الصفات الهلامية موزّعة في الطبيعة في مناطق مختلفة ، وقد تعرّف اليها الحفارون منذ قديم الزمان كعامل مساعد في عمليات الحفر عندما اكتشفوا أن مزيج الطين والماء يعطي سائلا لزجا زلقا يساعد على حفر الآبار ويقلل من المشاكل المتوقعة في عمليات الحفر .

وفي معظم الحالات ، تضاف الى طين الحفر مواد ذات أهمية كبرى بالنسبة لعمليات الحفر ، مثال ذلك « الصودا الكاوية — Caustic Soda » والمواد النشوية وذلك للتحكم في لزوجة الطين . وهناك مواد أخرى ذات وزن نوعي عال تضاف الى الطين من أجل زيادة وزنه كي يتحكم في الضغوط الناجمة عن أي سائل أو غاز في داخل البئر ، وأهم هذه المواد هو « البارايت - Barite » ويوجد في الطبيعة على شكل سلفات الباريوم ، وتخلط هذه المواد مع الطين لينتج مزيج متجانس ومتكامل ، الأمر الذي يسهل التحكم في ضغوط الطبقات الصخرية ويسهّل عمليات انزال واخراج عمود وأنابيب الحفر في البئر بالاضافة الى الفوائد الأخرى .

مزج مواد الطين

يتطلب الحصول على طين متجانس ومناسب للحفر إضافة مواد كثيرة ومتعددة الصفات للحصول على صفات جيدة وللتغلب على مشاكل الحفر في هذه الأيام . الا أن للمعدات التي تستخدم في عمليات المزج لهذه المواد الدور الفعال في اعطائنا نتائج ايجابية بالاضافة



العمال منهمكون في انزال أكيـاس مواد طين الحفر من الشاحنة . شركة التصوير الوطنية

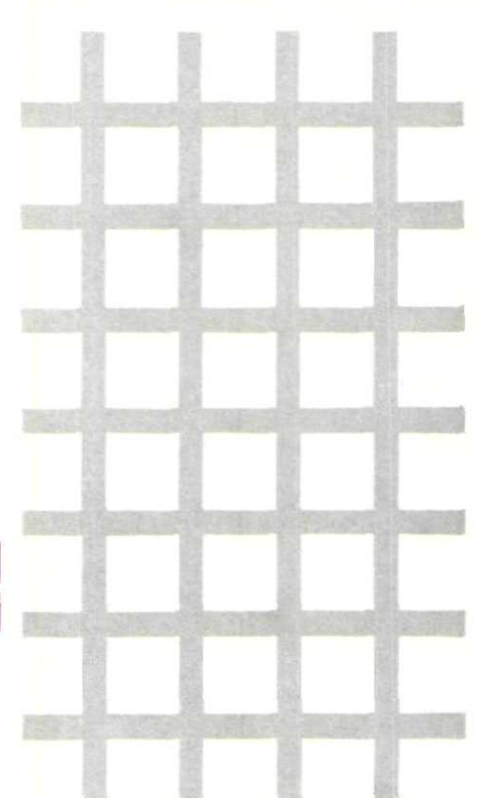
الى المقادير التي جمعت منها مواد طين الحفر فضلا عن عامل الزمن . كل هذه العوامل تؤثر تأثيرا كبيرا ومباشرا في نوعية الطين الذي نحصل عليه ، ويجب أن نفحصه للتأكد من صفاته من وقت لآخر حتى تكون لدينا القناعة التامة باستعماله وباعتباره طين الحفر المناسب والجيّد لعمليات حفر الآبار في منطقة معينة . وبالاضافة الى ما سبق فهناك مواد أخرى تضاف الى الطين منها ما هو جاف ومنها ما هو على شكل محاليل جاهزة ومحضّرة مسبقا . وباضافة أنواع مختلفة من هذه المواد أمكن التحكم بصفات الطين من وزن، ولزوجة، وكمية رشح الماء، وسمك طبقة الطين المتكوّنة على جدار البئر . ويمكن فحص جميع هذه الصفات باستعمال أجهزة وأدوات مبسّطة توجد عادة مع جهاز الحفر ويمكن استعمالها في جميع الأوقات ، ولذلك فان عينات من الطين تؤخذ خلال عمليات الحفر وعلى فترات ويتم ارسالها الى المختبر لفحصها وتقرير مناسبتها لعمليات الحفر أم لا ، ومن خلال المعاينة يعرف مدى جودة هذا الطين أو ضعفه باختلاف أنواعه . وعلى ضوء ذلك تتخذ التدابير لمعالجته وذلك باضافة المواد اللازمة له حتى يأخذ شكله الفعال والمرضي عنه للقيام بمهمته أثناء الحفر .

وتستخدم شركة (أرامكو) في معظم عمليات حفر الآبار في المملكة العربية السعودية أنواع طين الحفر ذات الأساس المائي «Water-base mud» والمحتوي على نسبة منخفضة من المواد الصلبة « Low solids mud ».

مما سبق تتبين لنا أهمية طين الحفر لصناعة الزيت على مدى السنين ، اذ لا يمكن حفر بئر للزيت بدونه ولا يتم اصلاح أية بئر من آبار الزيت الا بعد أن يضخ داخل البئر والاطمئنان الى أن البئر أصبحت هامدة حتى يتمكن القائمون على العمل من انزال أدوات وأنابيب الحفر داخل البئر والبدء في عمليات الاصلاح . وبعد الانتهاء من حفر الآبار أو من عمليات اصلاحها فانه يمكن استعمال الطين في بئر أخرى بعد اخراجه من البئر السابقة باستخدام الماء أو الكيروسين أو الديزل

ويستعمل طين الحفر بكميات كبيرة في حالة الآبار الثائرة ، اذ تضخ كميات هائلة الى داخل البئر في محاولة لاخضاع ثورانها ■

فتحي أحمد يحي — الظهران



علم الإجرام

يعني علم الاجـرام بدراسة ظاهرة الجريمة عن طريق التعرف الى العوامل المؤدية اليها ، تمهيدا لوضع سياسة تكفل الحد من هذه العوامل وتنظيم رد فعل المجتمع ازاءها .

وقبل بيان الاتجاهات المختلفة التي يتبناها الباحثون في ظاهرة الجريمة تفسيرا لها يتعين علينا أولا أن نبين ما اذا كان علم الاجرام قد اكتسب الصفة العلمية التي تجعله يقف في مصاف العلوم الأخرى ، أم أنه ليس الا مجموعة من المباحث أو المعارف غير جديرة باسباغ الصفة العلمية عليها . ذلك أن تعبير علم الاجرام حديث النشأة نسبيا ، فهو لم يظهر الا في منتصف القرن الثـامن عشر ، ولم يتخذ البحث في ظاهرة الجريمة طابعا علميا الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

فالعلم – أي علم – موضوعه دراسة الظاهرة التي تقوم بغير تدخل لارادة أجنبية ويحكمها قانون السببية . ويتبع البحث العلمي منهجا مبناه التحقيق عن طريق الملاحظة والتجريب بالاستقراء والاستنباط ويؤدي الى وضع القوانين والنظريات وابراز الفروض في ميدان الظاهرة . ويدل القانون على وجود رابطة مؤكدة بين المؤثر والأثر تسمح بالتنبؤ ، بينما النظرية أقل تأكيدا والفرض أقل تأكيدا من النظرية ، ومجموع هذه القوانين والنظريات والفروض هو الذي يكوّن رصيد علم من العلوم . واذا كانت مقومات العلم هذه واضحة تماما بالنسبة للعلوم الطبيعية الا أنها أقل وضوحا بالنسبة للعلوم الاجتماعية بصفة عامة ومن بينها علم الاجرام . ومع ذلك فانه يمكن القول يقينا ان موضوع علم الاجرام وهو دراسة ظاهرة الجريمة موضوع علمي ، لأنه وان كان ظاهرة اجتماعية الا أنه مثل الظواهر الطبيعية التي تقوم على علاقة السببية .

والذي يثير التساؤل هو معرفة ما اذا كان من الممكن في ميدان الظواهر الاجتماعية – بما فيهـا الظواهر الاجرامية – تطبيق المنهج العلمي المعروف في العلوم الطبيعية . ولا شك ان اختلاف طبيعة كل من الظاهرتين عن الأخرى يستحيل معه اتباع نفس الطرق والمناهج بحذافيرها ، فمن الصعب ان لم يكن من المستحيل اجراء البحوث في الظواهر الاجتماعية داخل المعامل والمختبرات ، على أن هذا ليس بشرط لوجود العلم ، ودليل ذلك ان علم الفلك لا تجري دراساته في المعامل والمختبرات . والمهم على أية حال هو اتباع الأسلوب الذي يسمح باجراء التجارب بشكل موضوعي ، ويعمل على عزل المؤثرات المختلفة عن بعضها حتى يمكن معرفة النتائج التي تحدثها مؤثرات معينة .

والاتجاهات المختلفة في تفسير السلوك الإجرامي

بقلم: الدكتور أحمد عبد العزيز الألفي

وقد قطعت طرق البحث في علم الاجرام شوطا طويلا نحو مزيد من الدقة والموضوعية واتجهت الى العناية بالأساليب التي تحصر احتمال الخطأ في نطاق ضيق ، كاختيار عينة البحث والمجموعة الضابطة . ومما تجدر ملاحظته أن العلوم الطبيعية نفسها ليست منزهة عن الخطأ ، فهناك دائما حيز متوقع من الخطأ في كل علم من العلوم مهما بلغت دقة أساليب البحث فيه ، ولهذا فان قيام علم الاجرام على أساس من أساليب وطرق بحث يحتمل معها الوقوع في بعض الخطأ لا يقدح في الصفة العلمية له . واذا كانت علوم أخرى تملك أساليب أدق فان اطراد التهذيب في طرق البحث في علم الاجرام وزيادة ثروته تدريجيا من القوانين والنظريات والفروض كل هذا جدير بأن يزيد من قيمته ، ولا سبيل الى ذلك الا بافساح الصدر والوقت أمام هذا العلم الحديث .

ومن المعروف أن الظواهر الطبيعية تختلف عن الظواهر الاجتماعية – بما فيها ظاهرة السلوك الاجرامي – في أن الأولى من الممكن معرفة السبب المحدث لها دائما ، أي الذي له وحده قوة أحداث النتيجة . والبحث عن السبب بهذا المعنى يتفق وطبيعة العلوم الطبيعية حيث يستطاع بالتجربة العلمية عزل الأسباب بعضها عن بعض وبيان مدى أثر كل منها في أحداث النتيجة . اما اذا كانت الدراسة متصلة بظاهرة اجتماعية كالجريمة فانها تبلغ من التعقيد حدا يصبح معه من الصعب البحث عن السبب بالمعنى المتقدم ، وانما يكتفى بمعرفة العوامل التي تشير الدلائل بدرجة كبيرة من الترجيح الى أن لها علاقة بأحداث الظاهرة الاجرامية .

طرق البحث في علم الإجرام

من المناسب وقد انتهينا الى بيان الطابع العلمي لعلم الاجرام أن نبين طرق البحث في هذا العلم . فالبحث فيه يعتمد على أسلوبين رئيسيين: المسح الاحصائي ودراسة الحالة . وتعتبر دراسة الاحصاءات الجنائية الخطوة الأولى التي لا بد أن يقوم بها أي باحث في ميدان علم الاجرام . ويقصد بالمسح الاحصائي جمع البيانات في صورة أرقام ومعالجتها بالعمليات الرياضية وايجاد العلاقات والارتباطات بين البيانات المختلفة ثم تفسيرها. وتتناول الاحصاءات الجنائية سمات كثيرة من الظواهر الاجرامية ، منها قياس النشاط الاجرامي ونسبته الى عدد السكان ، ومعرفة أنواع الجرائم وتوزيعها الجغرافي ، وبيان عدد المحكوم عليهم وخصائصهم كالسن والجنس والحالة الشخصية والمستوى الاقتصادي والمهنة والحالة التعليمية وعدد السوابق الى غير ذلك من بيانات . على أنه يجب الاحتراز مما يشوب الاحصاءات الجنائية من قصور . فهذه الاحصاءات لا تمثل الواقع الجنائي كله ، فان من الجرائم ما يرتكب ولا يعرف عنه شيء ، ومنها ما يعرف ولا يبلغ عنه . ومن الملاحظ أن بعض الجرائم يقل عددها لدى المسجل للحالة الاجرامية منها عن الجرائم المرتكبة فعلا كالجرائم الجنسية وجرائم الرشوة ، بينما نجد أن جريمة القتل تكاد تتفق فيها الجرائم المرتكبة مع الجرائم الثابتة في الاحصاءات . ومن ناحية أخرى فان أخطر ما يحيط بالاحصاءات الجنائية ، شأنها في ذلك شأن الاحصاءات التي تجمع في المواد الاجتماعية عموما ، هو الخشية من تفسيرها تفسيرا خاطئا . فلا يجوز اعتبار الارتباط بين ظاهرتين أن أحداهما سبب للأخرى ، فالواقع ان ارتباط ظاهرتين بشكل منتظم قد لا يعني سوى وجود عامل آخر يتحكم فيهما سويا ويؤثر عليهما ، دون أن تكون احداهما سببا للأخرى . ولامكان تحاشي هذا الخطر يتبع الباحثون في ميدان علم الاجرام أسلوب المجموعة الضابطة ، ويقوم هذا الأسلوب على اختيار مجموعة من الأفراد يتشابهون مع أفراد المجموعة التجريبية التي تجري عليها الدراسة في جميع الصفات الا في الصفة التي يراد معرفة العوامل المؤثرة فيها . وهناك اعتبار آخر يجب مراعاته في

تفسير البيانات الاحصائية ، هو أن تكون الظاهرة التي جمعت عنها البيانات متفقة في خصائصها الأساسية مع الظواهر المماثلة لها والتي يراد اجراء المقارنات بينها . فاذا ما أريد مثلا مقارنة مدى انتشار جريمة الرشوة أو جريمة السرقة في بلد من البلاد بمدى انتشارها في البلاد الأخرى ، يجب التأكد من أن التكييف القانوني لهذه الجريمة واحد في جميع هذه البلاد . وهذا الاعتبار هو الذي يؤدي الى صعوبة اجراء مقارنة لحالة الجرائم على النطاق العالمي . وبالرغم من أوجه القصور هذه فان الاحصاءات الجنائية ضرورة لا غنى عنها، فهي تعطي أساسا للفروض والنظريات التي تحتاج لمزيد من التحقيق والبحث . فضلا عن ذلك فهي تفصح ، أحيانا نتيجة للارتباط الواضح المتواتر لبعض النتائج ، عن اتجاهات وبيانات يمكن الاعتماد عليها الى حد كبير . فمن الممكن الجزم بأن النشاط الاجرامي للرجال يفوق بكثير النشاط الاجرامي للنساء في معظم الجرائم ، كما يمكن القطع أيضا بأن الاجرام في الريف يختلف في طابعه عن الاجرام في المدن .

دراسة الحالة

بينما تتناول الدراسة الاحصائية وحدات متعددة ، كعدد السجناء في بلد معين أو عدد المحكوم عليهم ، فان دراسة الحالة تتناول الوحدة ذاتها سواء كانت للفرد أو الأسرة أو العصابة الاجرامية . ويعطي البعض أهمية كبرى لدراسة الحالة ويعتبرون ان دراسة شخص المجرم هو أسلوب البحث الوحيد في علم الاجرام وفي الحقيقة ان الدراسات في علم الاجرام أصبحت تتجه شيئا فشيئا نحو دراسة شخصية المجرم ، وهو الاتجاه الذي يعتمد على علم الاجرام الاكلينيكي . وتتناول دراسة الحالة كافة النواحي البيولوجية والنفسية والعقلية والبيئية للفرد ، ويجب أن يقوم بدراسة الحالة أخصائيون في فروع العلم المختلفة حتى يمكن معرفة الجوانب المتعددة للشخصية الاجرامية محل الدراسة .

وأيا كانت أهمية دراسة الحالة الا أنها لا تغني عن الدراسات الاحصائية ، ويجب أن تدعم الدراستان احداهما الأخرى .

الدراسات التخمينية ودورها في التعرف على عوامل السلوك الاجرامي

ظهرت خلال الثلاثين سنة الأخيرة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بعض البلاد الأوروبية مثل المانيا وسويسرا محاولات عديدة ترمي الى معرفة السمات الشخصية والظروف الاجتماعية التي اذا توافرت في شخص معين فانها قد تشير الى أن هناك احتمالا قويا بأنه سيرتكب جريمة في المستقبل . وتقوم فكرة جداول التوقع أو التخمين هذه على دراسة عدد كبير من المجرمين ثم استخلاص السمات الفردية والظروف الاجتماعية التي تتوافر لدى أكبر عدد من أفراد المجموعة التي تجرى عليها الدراسة ، على أن تدرس مجموعة أخرى من غير المجرمين حتى يمكن استبعاد السمات والظروف التي يتردد ظهورها في أفراد المجموعتين . ويركز الأمريكيون اهتمامهم على معرفة العوامل الاجتماعية ، بينما يهتم الأوروبيون بالعوامل الفردية . ويعد الألمان من أكثر من اهتموا بالدراسات هذه ، فقام « شويد وشواب » بأول دراسات في هذا الموضوع . وكانت دراستهما تتلخص في اختيار عدد من المجرمين العائدين وانتقاء مجموعة من العوامل يعتقد بأهميتها في التأثير على السلوك الاجرامي ، ومن هذه العوامل : الظروف الوراثية ، السوابق الاجرامية ، الظروف التعليمية ، العمل غير المنتظم ، الاجرام في سن الحداثة ، السيكوباتية ، سوء السلوك في السجن وغيرها ، ثم معرفة مدى تكرار كل عامل عند العائدين ، لتبين أكثر العوامل أهمية في العودة للاجرام ، واستخلصوا من ذلك أن المجرم العائد الذي تتوافر فيه أكبر عدد من هذه العوامل من المرجح أنه سيعود لارتكاب جرائم في المستقبل . وفي أمريكا يعتبر « اليانور وشلدون جلوك » أشهر علماء الاجتماع اللذان قاما بعدة دراسات في هذا الحقل على طوائف عديدة من المجرمين ، احداث وبالغين من الرجال والنساء ، وتتبعا حالاتهم على فترات مختلفة ، وكانت دراساتهما ذات اتجاه تكاملي ، فقد اهتما بالعوامل الاجتماعية والنفسية والطبية العقلية .

ولا شك أن الدراسات هذه في مجال السلوك الاجرامي لا تزال في مراحلها الأولى ، فهي لم تثبت بعد أقدامها ولم تحظ بالاعتراف بقيمتها العلمية . ومن أهم الانتقادات التي وجهت لها أنها تغفل تغير الظروف الاجتماعية والشخصية باستمرار ، فهي تفترض أن هذه الظروف ستظل على حالها وعلى درجة أهميتها وقت وضع الجداول . كما أنها تتجاهل أن السلوك الانساني نتيجة تفاعل عدد كبير من الظروف الفردية والبيئية بينما هي تقصر العوامل المؤثرة على عدد محدود فقط . وقد أوصى المؤتمر الدولي الثالث لعلم الاجرام الذي عقد بلندن سنة ١٩٥٥ بانشاء أجهزة متخصصة في الدول المختلفة لهذه الدراسات ، وأن تختبر العوامل المختلفة المقول بأنها تؤثر في السلوك الاجرامي على مجموعات من الأشخاص — مجرمين وغير مجرمين — غير الذين استخلصت هذه العوامل من دراسة حالاتهم وعلى أن يقوم باستعمال هذه الجداول أخصائيون متمرسون .

الاتجاهات المختلفة في تفسير السلوك الاجرامي

يتجه البحث في معرفة عوامل السلوك الاجرامي ثلاثة اتجاهات رئيسية هي : الاتجاه البيولوجي ، والاتجاه النفسي ، والاتجاه الاجتماعي .

الاتجاه البيولوجي : يعد الطبيب الايطالي « لومبروزو » أول من وضع الأصول الأولى لهذا الاتجاه ، فهو يفسر السلوك الاجرامي على أساس حتمية بيولوجية تجعل الشخص يولد وسمات الاجرام مطبوعة على جسمه . وقد حاول اثبات وجود علاقة ايجابية بين عدد من الصفات الجسدية وبين السلوك الاجرامي ، واستنتج من ذلك أن شذوذ بعض أعضاء وأجزاء

الجسد ينبيء عن طبيعة اجرامية يولد بها المجرمون . فالمجرم بالولادة عند «لومبروزو» ذو تكوين وتشريح وسحنة خاصة فيها ارتداد الى الانسان البدائي . وكان «لومبروزو» في أول الأمر يعتبر جميع المجرمين من هذا النوع ، غير أنه عاد في كتاباته المتأخرة فقرر أن نسبة المجرمين بالولادة لا تتجاوز ثلاثين في المائة من مجموع المجرمين ، كما أنه اعترف أخيرا بأثر العوامل الاجتماعية والنفسية في تشكيل سلوك بعض فئات المجرمين .

وقد تعرضت نظرية «لومبروزو» لهجوم عنيف أثبت بطلانها بالصورة التي قيلت بها ، غير أن هذا البطلان لم يؤد الى اختفاء الاتجاه البيولوجي في تفسير السلوك الاجرامي ، فلا يزال هناك عدد من العلماء يربطون بين هذا السلوك وبين وجود تكوين فطري لدى الفرد يضعف من قدرته على التوافق مع المجتمع . ولا يوافق هؤلاء العلماء على أن المجرم يمثل نموذجا معينا ذا علامات بدنية خاصة ، ولكنهم يرون أن تكوينه الفطري به بعض القصور ، سواء تعلق بالنواحي البدنية أو الفسيولوجية (الخاصة بوظائف الأعضاء) أو العقلية أو المزاجية . فالبعض يفسر الجريمة بتلف عضوي في المخ أو الجهاز العصبي ، وآخرون يعزونها الى اضطراب في افراز الغدد ، وعدد آخر يردون الجريمة الى التخلف العقلي سواء كان طبيعيا أو مكتسبا منذ أيام الطفولة الأولى ، غير أن أشهر الاتجاهات المعاصرة التي تعزو السلوك الاجرامي لعوامل بيولوجية أو عضوية تلك التي تؤكد أثر الشذوذ العقلي في تشكيل السلوك .

الاتجاه النفسي

يذهب البعض الى أن السلوك الاجرامي يعزى الى عامل اجتماعي نفسي هو المحاكاة . فالاجرام في نظر هؤلاء مهنة يتعلمها الطفل من البيئة التي تحيط به عن طريق محاكاة المجرمين من أهله وعشيرته أو أقرانه وأصدقائه ، فالسلوك الاجرامي خلق يتطبع الفرد عليه نتيجة للمحاكاة . والعيب الواضح في هذه النظرية أنها لم تبين لماذا يخضع البعض لسلطان المحاكاة فيقلدون غيرهم بينما لا يخضع لسلطانها آخرون ، كما أنها لم تبين ما اذا كانت المحاكاة مسألة ارادية أو غير ارادية ، وما اذا كان من الممكن الكف عنها ومقاومتها أم أنها ذات سلطان على الشخص لا يستطيع التخلص من آثارها .

ويوجد اتجاه آخر أكثر شيوعا من النظرية السابقة ، وهو الاتجاه القائم على التحليل النفسي والذي يعزو الاجرام الى الصراع الذي ينشب بين مكونات الشخصية ويؤدي الى اختلالها . ويرى أنصار هذا الاتجاه أن الدوافع الأساسية للاجرام مستترة ومدفونة في اللاشعور ولا يمكن الكشف عنها الا بالتحليل النفسي . فالطفل في نظرهم يمر بمراحل يتقمص خلالها عناصر العالم الخارجي ويسقط رغباته الداخلية على هذا العالم الخارجي . وتمنع العوامل الذاتية والخارجية التي تعيق نمو الشخصية على وجه سويّ تمنع صاحبها من التوافق مع المجتمع . فهذه العوامل التي تعيق نمو الطفل وجدانيا وتحول بينه وبين ربط مشاعره باناس يحبهم ويتعلق بهم كالوالدين أو من يحل محلهما تجعله فيما بعد لا يستطيع التكيف مع المجتمع. ومن الواضح أن هذه النظرية تدخلنا في متاهات لا نستطيع معها وضع اليد على العوامل المؤدية حقيقة للسلوك الاجرامي ، كما أنها لا تستطيع أن تفسر عوامل هذا السلوك اذا نشّىء الطفل في بيئة تسود فيها الجريمة ، فهو في هذه الحالة سيكون متوافقا مع قيم وأنماط سلوك هذا الوسط الذي نشأ فيه .

الاتجاه الاجتماعي

يزداد الاقتناع لدى الكثيرين من المشتغلين بعلم الاجرام برد السلوك الاجرامي لتأثير العوامل الاجتماعية . ويرى بعضهم أن الظروف الاقتصادية السيئة هي أبرز هذه العوامل ، ويدللون على وجهة نظرهم بأن أغلب المجرمين من الفقراء . غير أن هذه النظرة تضع كل الأهمية على العامل الاقتصادي وتتجاهل أن الغالبية الساحقة من الفقراء من غير المجرمين . وحاول الكثيرون البحث عن عوامل الاجرام في البيئة التي تحيط بالشخص . وتشمل البيئة ، الأسرة والحي والرفاق والمدرسة ومحل العمل وسائر الهيئات والجماعات التي يتعامل معها الفرد . ويرى هؤلاء أن الفقر وفساد الأسرة وتصدعها وازدحام المسكن وسوء المعاملة كل ذلك أو بعضه يؤدي الى السلوك الاجرامي .

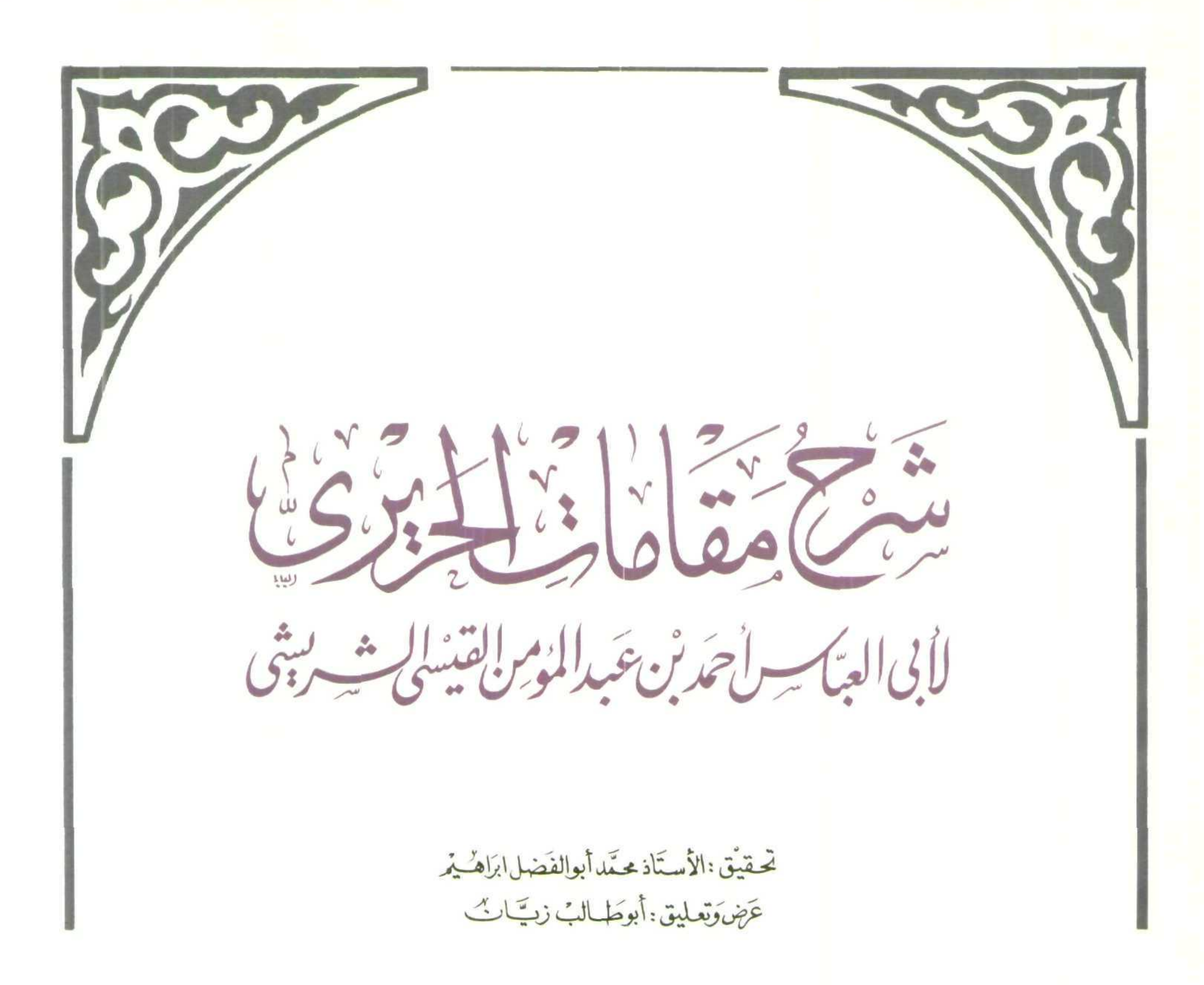
وقد تبين من بحث أجراه «اليانور وشلدون جلوك» على خمسمائة من نزلاء اصلاحية «ماساشوسيتس» بأمريكا أن ستين في المائة من الذكور وثمانية وخمسين في المائة من الاناث من أسر متصدعة ، وان ٢٩ في المائة منهم من أسر تفشى فيها ادمان الخمور والفجور ، وان ٥٦ في المائة منهم من أسر تعيش في حالة فقر ، وان حجم الأسرة أكبر بكثير من من متوسط حجم الأسرة في نفس الولاية .

الاتجاه التكاملي

أصبح من المسلم به الآن أن أية محاولة لتفسير السلوك الاجرامي بالاعتماد على واحد فقط من هذه الاتجاهات الثلاثة لن يكتب لها النجاح . فالشخصية الانسانية ليست الا محصلة لمختلف العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية ، وكل عامل يؤثر في العوامل الأخرى ويتاثر بها . فالظروف الاقتصادية والأسرية السيئة تؤثر على نفسية الشخص وعقليته ، كما أن هذه بدورها لها دخل كبير في اختيار العمل الذي يقوم به وبالتالي في تحديد مستواه الاقتصادي ، كما أنها تؤثر في حياته الأسرية والعملية .

من أجل ذلك يتعين في أي بحث أو دراسة تستهدف التعرف الى العوامل المحيطة بظاهرة الجريمة أن تستند على هذه الاتجاهات مجتمعة حتى يمكن الاطمئنان الى النتائج التي تنتهي اليها ■

د. أحمد عبد العزيز الألفي
معهد الادارة العامة — الرياض



شرح مقامات الحريري

لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق : الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم

عرض وتعليق : أبو طالب زيان

هل كان الحريري مبتدع فن المقامات ، أو كان أبا عذرها..؟

الواقع .. لا .. فقد سبقه الى هذا الفن : بديع الزمان الهمذاني ، ويشير هو نفسه الى ذلك فيقول : « هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدي بعده لانشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته ، ولا يسري هذا المسرى الا بدلالته ... » .

لكن السؤال عن الذين جاءوا بعدهما من كتاب المقامات . كيف نسجوا مقاماتهم ، وعلى أي منوال كان غزلهم ..؟

الحق : ان جميع المحاولات التي سجلتها كتب الأدب ، انما كانت على منوال الحريري ، وان أصاب بعضها الاخفاق ، ومضى البعض الآخر في غير توفيق .. فمن الذين حاولوا ذلك : علي بن الحسن ابن عنتر : المعروف بالشميم الحلي ، وكان ذا مكانة في الأدب ، وفضيلة في العلم ، لا يقر لأحد من أهل العلم باحسان ، ولا يقيم وزنا لرجل من المتقدمين ولا المتأخرين ، الا أنه قال حين عجز عن الاتيان بمقامات تناوح مقامات الحريري ، أو تقف واياها على قدم المساواة في الحبكة والتسلسل ، « ما أظن الله خلقني الا لاظهار فضل الحريري..»

وجاء أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطي الاشتراكوبي ، وأنشأ كتابه « الخمسين مقامة اللزومية » ، قاصدا معارضة مقامات الحريري ، غير أنه لزم في نثرها مالا يلزم ، فأتعب خاطره ، وكدّ ذهنه ، وصعب على نفسه المسالك ، وقيد كلامه نثرا ونظما .. ثم أتى جار الله : محمود ابن عمر الزمخشري ، فأنشأ مئة مقامة ، تدور كلها حول الوعظ ، ليس فيها راو واحد ولا بطل ، بل خاطب في جميعها نفسه ، وذكرها بالآخرة ، ورغبها في الأعمال التي تؤدي بها الى نعيم الله ورضوانه ، الا أنه أحس في هذه المقامات بقصوره عن غاية الحريري ، وبعده عن مداه ، فقال :

اقسم بالله وآياته — ومشعر الحج وميقاته
أن الحريري حري بأن — نكتب بالتبر مقاماته

وقد توالى المقلدون جيلا بعد جيل ، كابن الجوزي ، وأبي العلاء : أحمد بن أبي بكر الرازي ، وابن ناقيا ، وابن الصيقل الجزري ، وابن حبيب الحلبي ، وابن الوردي ، والسيوطي وغير هؤلاء ، ممن لم يثبتوا في هذا الميدان ، أو يكتب لهم البقاء ، الى أن كان الشيخ ناصيف اليازجي ، أحد أعيان البيان بلبنان في القرن التاسع عشر الميلادي ،

وتوافر على دراسة مقامات الحريري ، وأخذ يروض قلمه السيال على مقامات تنحو نحو مقامات الحريري ، وتسلك نهجها ، فعمل أكثر من ستين مقامة سماها : « مجمع البحرين » ، أي : النثر والنظم ، وجعل راويها : سهيل بن عباد ، وبطلها : ميمون بن حزام .

وعلى الرغم من الدقة البالغة في بعض هذه المحاكاة ، الا أن الحريري بقي منفردا بفنه ، ومنفردا في أسلوبه ، لا يضارعه أحد من هؤلاء : في نظمه أو نثره الذي بذ به من سبقه ، وأتعب به من بعده ، حتى أن مقاماته ستظل ، على مر العصور والأيام ، من أجود ما جادت به القرائح . وأجمل ما نضحت به الأقلام ... على أنه بجانب المنزلة التي تمتعت بها المقامات عند القدماء ، الا أنها لم تخل من نقد وتجريح وتعرض ممن يشار اليهم في البيان ، كابن الأثير في « المثل السائر » ، وابن الطقطقي في « الآداب السلطانية » ، وابن الخشاب الذي وضع رسالة جمع فيها المآخذ التي وقع عليها في المقامات ...

والى جانب الحركة الفكرية التي أحدثتها المقامات في المشرق : العراق والشام ومصر ، كانت هناك في أسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا ، هزة لها ، وصدى بعيد ، تمثل في العمل الذي قام به المستشرق الهولندي «جوليوس» سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى الى اللغة اللاتينية ، ثم نقل المستشرق الهولندي «شولتنس» ، ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ، ونقل بعده «فانتوردي بارادي» ، منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ الى اللاتينية كذلك ...

وفي فرنسا ، قام المستشرق : «كوسان دي برسفال» بنشر المتن العربي الكامل ، كما قام الأستاذ «دي ساسي» بجمع المخطوطات المقامية وشروحها ، وصنع منها شرحا عربيا ، وطبع المتن والشرح في باريس عام ١٨٢٢م ، وتصدى لها الشيخ ناصيف اليازجي بالنقد والتحليل ...

أما في المانيا ، فقد قام العلامة «ركرت» ، بترجمة هذه المقامات سجعا باللغة الألمانية ، مما اقتضى منه جهدا كبيرا ، ولا سيما في استعمال بعض الكلمات النادرة .

وفي اللغة الانجليزية ، قام «تشنري» ، بترجمة المقامات الى اللغة الانجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبعه في هذا العمل «استجاس» ، فترجمها في عام ١٨٩٨م .

أما في أسبانيا ، فقد قام الشاعر اليهودي «يوراي الحريزي» بترجمة المقامات الى اللغة العبرية وطبعها في لندن عام ١٨٧٢م .

ولقد كان فضل الأستاذ : محمد أبو الفضل ابراهيم ، وهو يقوم بتحقيق هذه المقامات ، أنه جمع هذه النسخ كلها واستوفاها بحثا ، بعد الموازنة الدقيقة بينها جميعا ، فضلا على النسخ الخطية التي لا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية في الشرق والغرب من عدد وافر منها ، متنا أو شرحا ، وبخاصة « دار الكتب المصرية » ، التي تضم أكثر من ثمان وعشرين نسخة من هذه المقامات ، بعضها نفيس ، وبعضها الآخر اطلع عليه المحقق من باب الاستئناس أو المراجعة العابرة ، وان كان قد أثبت رقمه ، واسم الذي كتبه ..

وترجم الأستاذ أبو الفضل ، لصاحب المقامات ، فذكر ما يدل على علمه وعمله ويساره ، وشرّاح مقاماته ، وخص منهم : الشريشي ، الذي وقف جهده حقبة من الزمن على هذه المقامات ، يتدارسها تارة مع العلماء ، وطورا يستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعاليق ، ليتخذ العدة ، ويستأهب لهذا الشرح ، حتى قال : « لم أدع كتابا ألف في شرح الفاظها ، وايضاح أغراضها الا وعيته نظرا ، وتحققته معتبرا ومختبرا ، وترددت في تفهمه وردا وصدرا ، وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصرا ... ولم أترك في كتاب منها فائدة الا استخرجتها ، ولا فريدة الا استدرجتها ، ولا نكتة الا علقتها ، ولا غريبة الا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظا وخطا ، أعلاق جمة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ، ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .. » ثم أتى المحقق على الشريشي ، فتناول مسقط رأسه وعلمه وشيوخه وتآليفه ، ولا سيما هذا الشرح المطول الذي اختاره الأستاذ أبو الفضل لهذه المقامات ، دون غيره من شرحي الشريشي : المختصر والمتوسط ، وهو يقع في ستة أجزاء ، كما قال المحقق ، يزيد كل جزء منه على أربعمائة صفحة وان كان قد بقي من هذا الشرح الكبير جزءان ، لم يريا النور بعد .

والمقامات في جملتها تعد بحق ، أكرم ما زخرت به الآداب العربية ، منذ العصور الجاهلية الأولى في جزيرة العرب ، الى مطالع القرن السابع الهجري في بلاد الأندلس ، مما اختاره المؤلف من : الأغاني والكامل والعقد الفريد ، وتاريخ الطبري ، وكتب ابن قتيبة والجاحظ وابن بسام والفتح بن خاقان ، وما فاضت به أقلام الكتاب ، ونقله الرواة من القصص والأخبار ، وغير ذلك من نوادر اللغة ، وفصح الأعراب ، والحكم والأفاكيه والمناظرات والمفاخرات والمنافرات .

والحق ، أن جملة هذه المعارف التي أوردها أبو العباس الشريشي ، شرحا لهذه المقامات ، لم تكن لتيسر لغير الشريشي من أئمة اللغة وفرسان البيان ، حتى أن الأستاذ أبو الفضل ، قد ملكه هذا الشرح ، فوقف حياله ينقب عن نسخه ، ويرجع الى طبعاته ومخطوطاته هنا وهناك ، الى أن استقام له هذا السفر الجامع الذي انتظم هذه المقامات .

والأستاذ أبو الفضل ، الذي عودنا دائما العمل في صمت ، والصنيع في غير جلبة ، لم يفته في عمله الكبير هذا ... أن يذيله بالرسائل التي دارت حول هذه المقامات ، غير تعبه في الفهارس الفنية التي تضم الحواشي ، وتجمع البعيد الى القريب ، وتطامن من نوافر الكلمات ، وان كنت أنا شخصيا آخذ عليه ، أنه لم ينبه في مقدمته الى ما يضم كل جزء من الأجزاء الستة ، عن عدد المقامات المثبوتة فيه ، ليعلم القارىء الكم ، ويحدد الاتجاه ، وبخاصة أنه المحقق كذلك ، وهو من هو فضلا وعلما ، لم يسلسل المقامات في أي جزء من أجزاء الكتاب ، مما يوقع الباحث ، أو المطالع في متاهة قد لا يخلص منها الا اذا كان هذا السفر برمته بين يديه ، وان كان عذر الأستاذ أبو الفضل ، أنه جرى في تحقيقه ، واستخلاصه هذا الشرح « الشريشي » من جملة نسخ ، حسبما جرى عليه : أبو العباس نفسه في شرحه واتجاهه .

ولست أشك ، في أن هذا الرائد الأول لتحقيق التراث ، قد يكون عليه تبعة اهمال تحقيق هذه الأمهات الكريمات من يتيمات الكتب ، كما كان عليه من قبل ، تبعة البعث لهذا التحقيق ، الذي أرانا النور في هذه المراجع النافعة ■

أبو طالب زيان — القاهرة

أخبار

حقق العلامة العراقي الكبير الأستاذ محمد بهجة الأثري الجزء الرابع من كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» لعماد الدين الأصبهاني الكاتب فظهر في مجلدين ضخمين يربي عدد صفحاتهما على ٨٠٠ صفحة من قطع «قافلة الزيت» وهذا الجزء خاص بشعراء العراق.

وسبق للعلامة الأثري أن حقق مجلدين آخرين من قسم العراق من الخريدة فكان في تحقيقه لهذه المجلدات الأربعة واسع الاحاطة بالشعراء وشعرهم وعصرهم ومعانيهم، تشهد على ذلك الشروح والتعليقات المسهبة والاحالات الكثيرة والهوامش المفصلة، ثم الفهارس المتعددة التي ذيل بها الكتاب.

وقد صدر هذان المجلدان عن وزارة الاعلام العراقية، بينما ظهر المجلدان السابقان عن المجمع العلمي العراقي.

ومما يذكر عن كتاب الخريدة أن أقساما منه نشرت في مصر، وغيرها نشر في دمشق، ونشر قسم في تونس، وكان للعلامة الأثري فضل نشر قسم العراق في بغداد.

* من كتب التراث التي صدرت أخيرا ثلاثة أجزاء من كتاب «الفتوحات المكية» لمحي الدين ابن عربي من تحقيق الدكتور عثمان يحيى ومراجعة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، وحققت الدكتورة بهيجة باقر الحسني كتاب «المحاجاة بالمسائل النحوية» للزمخشري ونشرته دار التربية للطباعة والنشر.

* أصدرت دار الهلال في سلسلة «كتاب الهلال» كتاباً للأديب الراحل طاهر الطناحي عنوانه «أطياف من حياة مي» فيه جوانب مجهولة من حياة هذه الأديبة الكبيرة. وتعكف الأديبة السورية السيدة وداد سكاكيني على اعداد دراسة عن رسائل مي بعد أن أخرجت كتابا ضخما عنها عنوانه «مي زيادة في حياتها وآثارها».

* ومن كتب السير والتراجم التي صدرت أخيرا «محمد فريد وجدي» للأستاذ أنور الجندي ونشر الهيئة المصرية، و «المؤرخ ابن تغري بردي» للأستاذ جمال الدين أبو المحاسن ونشر الهيئة المصرية، و «ميخائيل نعيمة» منهجه في النقد واتجاهه في الأدب» للأستاذ شفيع السيد ونشر مكتبة عالم الكتب، و «وثلاثة من رواد المهجر: جبران ونعيمة وأبو ماضي» للدكتورة نادرة جميل السراج ونشر دار المعارف.

ويصدر قريبا للدكتور فؤاد محمد شبل كتاب عن «اخناتون» ونظراته في الحياة والجماعة.

* «الطوفان» عنوان ديوان جديد للشاعر الفلسطيني الأستاذ علي هاشم رشيد كتب مقدمته الدكتور عبده بدوي وطبع في المطبعة الفنية الحديثة.

والديوان حافل بالشعر الوطني والحماسي الذي أثر عن الشاعر علي هاشم رشيد وشقيقه الشاعر هارون هاشم رشيد.

* ومن الدواوين الجديدة التي صدرت أخيرا: «تسابيح قلب» للشاعر الكبير الراحل عزيز أباظة بمقدمة للأستاذ أنور أحمد وقد نشرته دار الكتاب اللبناني، و «رباعيات صبا نجد» للشاعر السعودي الكبير الأستاذ طاهر زمخشري ونشر شركة المدينة، و «ديوان الهمشري» للشاعر محمد عبد المعطي الهمشري وقد جمع مادته وحققه وقدم له الأستاذ صالح جودت ونشرته الهيئة المصرية، و «الديوان الجديد» للزجال أبو بثينة محمد عبد المنعم نشر ادارة توزيع الأهرام، و «ديوان حمام» للشاعر الراحل محمد مصطفى حمام ونشر الهيئة المصرية، وديوان «سيرة ذاتية لسارق النار» للشاعر عبد الوهاب البياتي ونشر وزارة الاعلام العراقية، و «ديوان جبران» للشاعر جبران جبور ونشر دار الأمم ببيروت، والجزء الثاني من «ديوان الرصافي» وقد حققه الأستاذ مصطفى علي ونشرته وزارة الاعلام العراقية، والجزء الثاني من ديوان «تذكار» للشاعر أنيس روفائيل بمقدمة للأستاذ فوزي غازي ونشر دار الانشاء بطرابلس لبنان، و «جراحات قلب» للشاعر طارق الطاهري ونشر مطبعة البصرة بالعراق.

ويصدر قريبا ديوان «رمال وصخور» للشاعر المهجري الأستاذ ميشيل مغربي.

* أخرج الأديب الشاعر الطبيب الدكتور عبد السلام العجيلي طبعة ثانية من كتابه «أحاديث العشيات» وهو مجموعة مختارة من محاضراته في الأدب والعلم والاجتماع والتاريخ. وقد نشرت الكتاب وزارة الثقافة السورية.

* منذ وفاة الأديب القاص الكبير الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله وأرملته الفضلى تعكف على جمع آثاره المتناثرة ونشرها لتكون متاحة للباحثين. وقد أصدرت أخيرا كتابين له هما «لقاء بين جيلين» وقد نشر في سلسلة كتاب الاذاعة والتليفزيون، وكتاب «قضايا ومعارك أدبية» وقد نشرته دار الشعب.

والكتاب الأخير قسمان، قسم كتبه عبد الحليم عبد الله للرد على ناقديه، وقسم كتبه النقاد في تقويم آثار عبد الحليم. وفي الكتاب قائمة مفصلة بآثار عبد الحليم وتواريخ صدورها وبيان بما ترجم منها الى اللغات الأجنبية.

* ومن الدراسات الأدبية التي صدرت أخيرا كتاب «أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة» للدكتور محمد رشدي حسن ونشر الهيئة المصرية، و «أغاني ترقيص الأطفال عند العرب»



للأستاذ أحمد أبو سعد ونشر دار العلم للملايين ، و « نسمات برازيلية » وهو ترجمة عربية لمختارات من الشعر البرازيلي قام بها الشاعر المهجري فيليب لطف الله وطبعتها مجلة « المراحل » في سان باولو .

وتصدر قريبا طبعة ثالثة منقحة من كتاب « أدب المهجر » للأستاذ عيسى الناعوري . كما يعد البحاثة العراقي الأستاذ عبد الغني الملاح دراسة عنوانها « شكسبير يسترد أباه » على غرار دراسته عن نسب المتنبي التي عنوانها «المتنبي يسترد أباه» .

* صدرت طبعة ثانية من « معجم المصطلحات الجغرافية » من وضع الدكتور يوسف توني ونشر دار الفكر العربي . كما أصدر الأستاذ يوحنا قمير « معجم الحروف والظروف » ونشرته مطابع الكريم الحديثة في جونية بلبنان .

* أصدر الشاعر الفلسطيني الأستاذ محمد أحمد أبو غربية مسرحية شعرية عنوانها « مشاعل ودماء » استمد موضوعها من الأحداث الجارية . وطبع الكتاب في المطبعة الفنية الحديثة .

* وفي الأدب الروائي صدرت الكتب التالية : « تعال وقصص أخرى » مجموعة أقاصيص للسيدة جاذبية صدقي ونشر الهيئة المصرية ، و « اللهب المدفون » مجموعة أقاصيص للدكتور محمود كامل ونشر دار المعارف في سلسلة « اقرأ » ، و « خميس يموت أولا » مجموعة أقاصيص للأستاذ علي زين العابدين الحسيني ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و « الطيور » وهي رواية للأستاذ مهدي النجار نشر مكتبة الثقافة ببغداد .

* يصدر للدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق مؤرخ الفنون الاسلامية كتاب كبير عن « الفن الاسلامي في ايران » على غرار كتابه « الفن الاسلامي في الأندلس » الذي نشرته دار الثقافة بلبنان .

* نشرت مكتبة عالم الكتب كتابا كبيرا للدكتور شمس مرغني علي عنوانه « التحكيم في منازعات المشروع العام – دراسة مقارنة » ■

كتب مهداة

* الجزء الثالث من كتاب « شعر الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الأول » ، وهو بحث واف جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لاعلامه ووضع فهارسه الطالب عبد الله عبد الرحمن الجعيثن . وقد قدمه لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض ونال به درجة الامتياز . صدر هذا الكتاب ضمن « موسوعة أدب الدعوة الاسلامية » التي تضطلع باصدارها كلية اللغة العربية .. وهو يعتبر واحدا من الأعمال الجادة الضخمة التي يقوم بها طلاب هذه الكلية تحت اشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، اسهاما منهم في خدمة الثقافة الاسلامية . ويقع الكتاب في نحو ٣٤٠ صفحة من الورق الأبيض الصقيل ، طبعت على المطابع الأهلية للأفست في الرياض .

* « دنيا على الشام » للشاعر سليم الزركلي ، ديوان شعري يضم بين دفتيه مجموعة من قصائد نظمها المؤلف في مناسبات مختلفة تعبيرا عن مشاعره وأحاسيسه نحو وطنه وأمته .. ويقع الديوان في نحو ٣٥٠ صفحة من الورق الصقيل طبعت على مطابع دار لبنان للطباعة والنشر في بيروت .

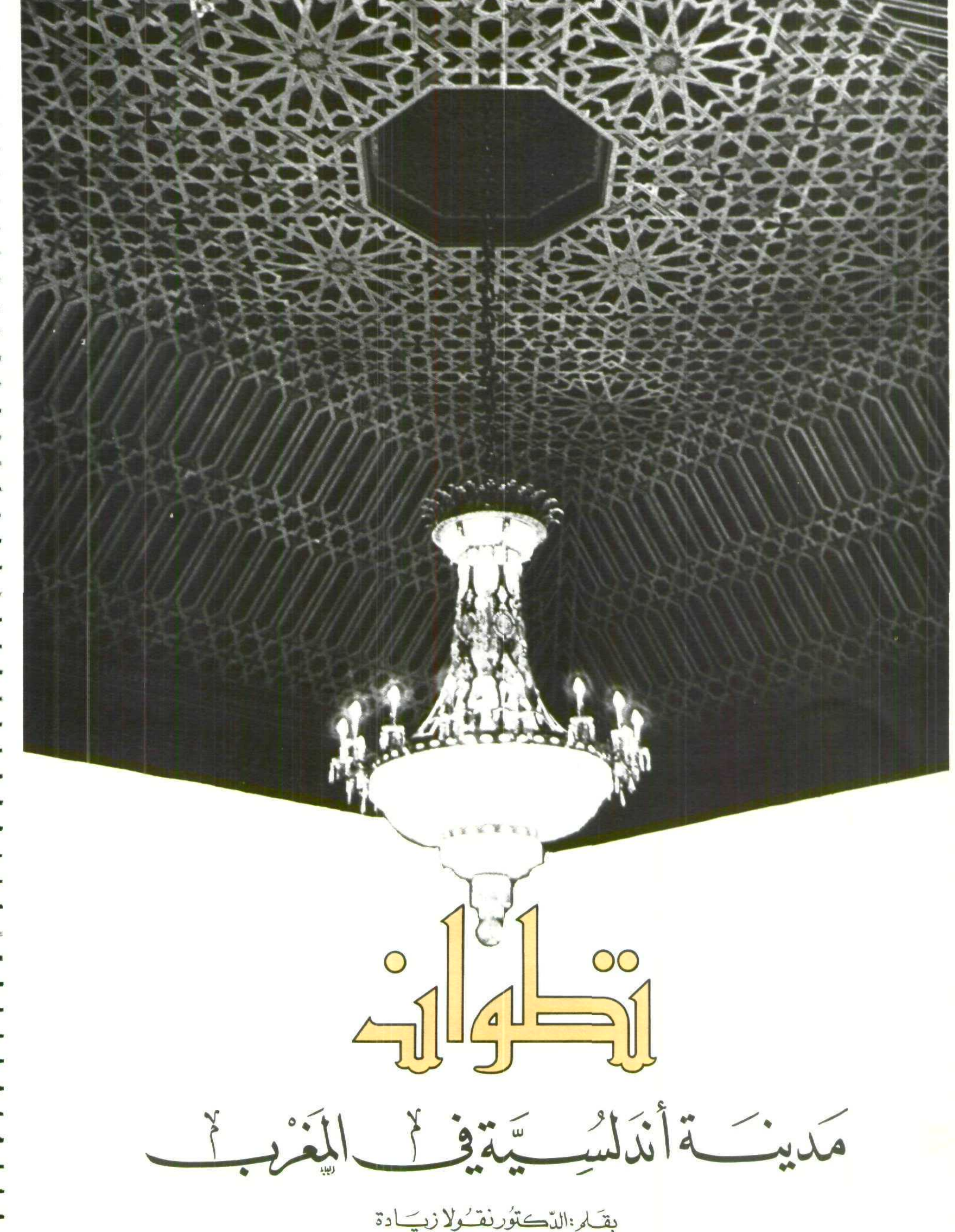
* « ملخص التاريخ الاسلامي » للأستاذ مطلق ابن بادي ، وهو كتاب يحتوي على ١٤ بابا و ٩٠ فصلا يتناول فيها المؤلف الفتوحات الاسلامية بلمحات سريعة منذ فجر الاسلام حتى وقتنا هذا .. والكتاب مزود بالصور والخرائط ، وهو يقع في ٢٤٠ صفحة طبعت على مطابع المطوع بالدمام .

* « المدينة المنورة في التاريخ » للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ ، دراسة تناول فيها المؤلف أوضاع المدينة المنورة عبر العصور في مكانتها الدينية ومآثرها ومساجدها وحكامها مع نماذج من اعلامها وأقباس من سيرة ساكنها وصاحبها سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .. وتقع الدراسة في نحو ٢٢٠ صفحة من القطع المتوسط وهي من نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة .

* « مشكلات طلبة المرحلة الاعدادية وحاجاتهم الارشادية » للأستاذ ابراهيم عبد الله العمار ، وهذا كتاب يتضمن دراسة ميدانية تم تقديمها كرسالة « ماجستير » للجامعة الأردنية ، كلية الآداب ، قسم التربية وعلم النفس ، واستحقت درجة جيد جدا .. ويتعرض الكتاب للمشكلات التي يواجهها طلبة المرحلة الاعدادية في مجالات حياتهم المختلفة مع تحليل علمي لهذه المشكلات وأسبابها .. وهو يقع في نحو ٢٨٠ صفحة طبعت في دار جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان .

* « من وحي السماء » للأستاذ أحمد عبد الرحيم السائح ، وهو كتيب يعنى بالشؤون الاسلامية يصدره المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ضمن سلسلة « كتب اسلامية » ، ويشرف على اصدارها الأستاذ محمد توفيق عويضة . وقد طبع على مطابع الأهرام التجارية .

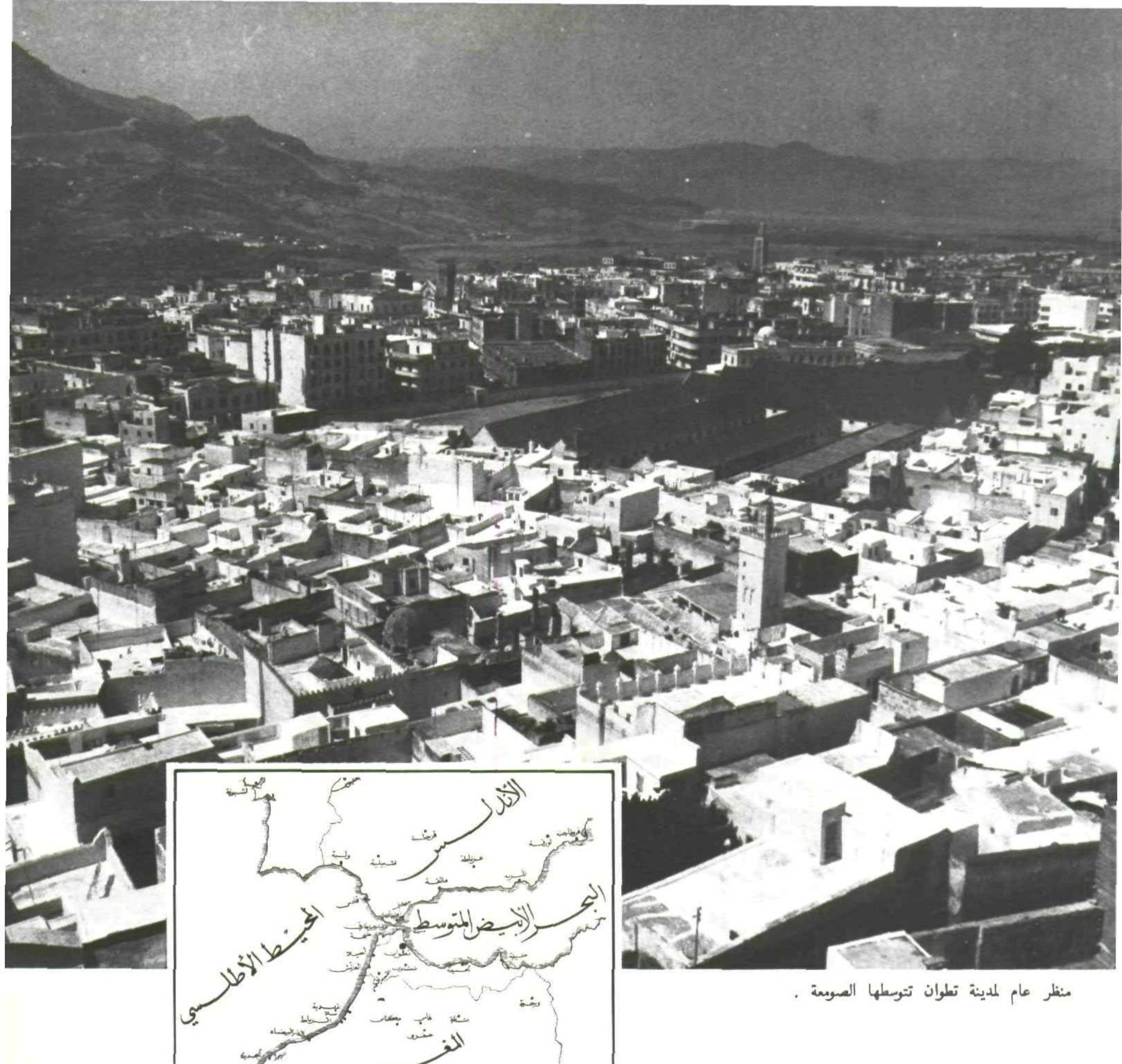
* « صدى نفسي » مجموعة شعرية للشاعرة السعودية شرف أحمد العلمي ، وهي باكورة انتاجها الشعري ■



تطوان

مدينة أندلسية في المغرب

بقلم: الدكتور نقولا زيادة



منظر عام لمدينة تطوان تتوسطها الصومعة .

خارطة لجانب من المغرب العربي والأندلس .

اذا أتيح لك أن تتنقل في المغرب العربي ، وخاصة في الأجزاء الساحلية منه فستقع عيناك على عدد من المدن الكبيرة والصغيرة ، الممتدة من درنة في ليبيا شرقا ، الى تطوان غربا ، التي يبدو فيها أثر الأندلسيين واضحا . ولسنا نقصد بذلك الآثار المعمارية والفنية والحضارية التي جاءت نتيجة التبادل الطويل الأمد بين شمال أفريقية والأندلس عبر عصور التاريخ العربي الاسلامي ، ولكن الذي نقصده أن عددا من هذه المدن اما أنشأه مهاجرة الأندلس منذ القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) أي منذ أن أخذ هؤلاء بالنزوح عن بلادهم الى المغرب العربي ، أو أنهم على الأقل أصلحوه وطبعوه بطابعهم الخاص . فالذي يعرفه التاريخ هو أن هؤلاء الأندلسيين ، منذ أن بدأ الأسبان باحتلال المدن الأندلسية ، الواحدة بعد الأخرى ، أخذوا هم أنفسهم بالانتقال الى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ، هربا من الضغط الذي تعرضوا له ، وبحثا عن دار هجرة يأوون اليها . وهذه الهجرة زادت بعد سقوط غرناطة ، وبلغت ذروتها لما أخرج العرب من الأندلس .

وتطوان واحدة من هذه المدن ، بل لعلها أكثر مدن المغرب تمثيلا للأثر الأندلسي الذي أشرنا اليه . وتقع تطوان في الشمال الغربي من المغرب على نحو عشرة كيلومترات من البحر الأبيض المتوسط ، وتبعد أربعين كيلومترا عن مدينة سبتة الواقعة شمالها ، كما أن طنجة تقع الى الجهة الشمالية

الغربية على بعد ستين كيلومترا من تطوان .

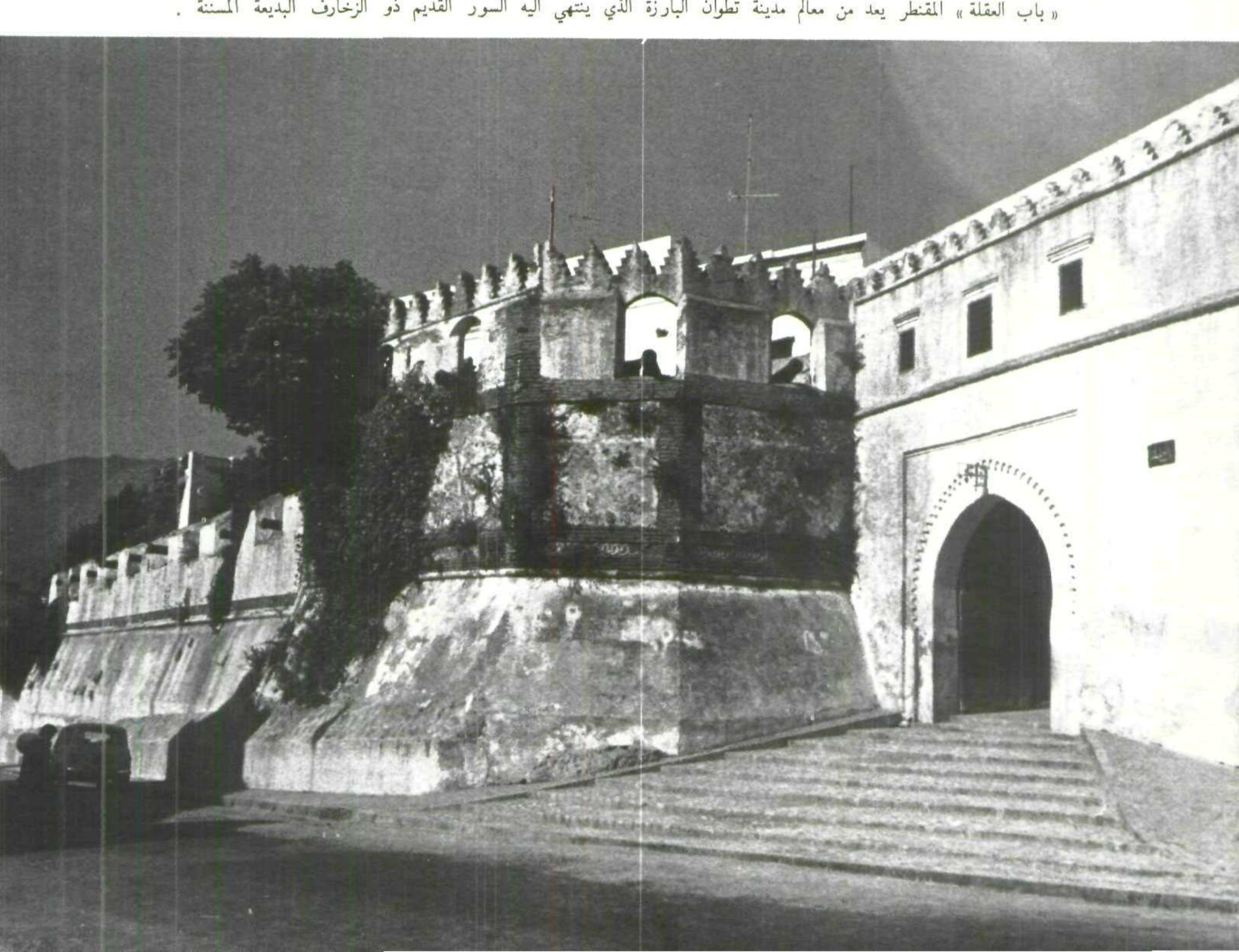
وترتكز تطوان على جبل درسة ، الأمر الذي يكسبها مناعة وجمالا ، بحكم الأشجار التي تكسو الجبل وما حوله وأما جهاتها الثلاث الأخرى فتنتهي بسهول .

وعندما تصل الى تطوان، سواء من طنجة كان مجيئك أو من شفشاون، تطل على مدينة مكتظة ببيض بيوتها، وتبدو لك واضحة المعالم فيخيل اليك أنك عرفت كل شيء عن تلك المدينة . لكنك لا تكاد تدخلها حتى تجد نفسك أمام مدينة ذات أسرار . وكل مدينة تقريبا ، لها أسرارها ، لكن تطوان لها سرها الخاص . فشوارعها الضيقة المتعرجة المبلطة ، والأبواب الصغيرة التي تؤدي الى منازل واسعة الصحن ، تذكرك بمدن الأندلس . وفي هذه الشوارع والمنازل تقيم أسرار تطوان الأندلسية . وقد تضيق ذرعا بهذه الشوارع ، اذا كنت قد الفت مدنا متسعة الشوارع ، ولكنك متى انتهيت الى الأسواق ، وانتقلت فيها من سماط صنعة الى سماط صنعة أخرى، ودخلت الحوانيت لا لتبتاع منها ولكن لترى أقواس أبوابها وعقود داخلها ، والحنيات التي توضع فيها المتاجر ، عاد اليك شوقك الى استكناه الأسرار . ولكن المدن كالنساء ، لا تكاد تدرك بعض السر منها حتى تجد نفسك في أول الطريق . والوصول الى نهاية الطريق أمر صعب !

ولكي نتعرف الى تطوان لا بد لنا من استطلاع التاريخ . والتاريخ هو الآخر سر ، لكنه أيسر منالا من بقية الأسرار .

ولسنا نريد أن نوغل في التاريخ فنرجع الى ما كانت عليه تطوان في العصور الغابرة ، ولكن لا بد من الاشارة الى ما مر عليها منذ أن صارت ، مع المغرب العربي كله ، جزءا من دار الاسلام ، وكان ذلك في القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) . ولكنها لم تبلغ شأو المدن الأخرى الا في القرنين الثالث والرابع (التاسع والعاشر م) ، اذ أصبحت مركزا للمنطقة المجاورة ، وقد روى البكري في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أن تطوان كانت « على أسفل وادي راس . . وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب اللطاف من البحر حتى تصل الى تطاوان . . بها منار ، وبها مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء » . وبهذه المناسبة فان تطوان يكتب اسمها بصيغ مختلفة ضبطها مؤرخ تطوان الشيخ محمد داود على الصيغ

« باب العقلة » المقنطر يعد من معالم مدينة تطوان البارزة الذي ينتهي اليه السور القديم ذو الزخارف البديعة المسننة .

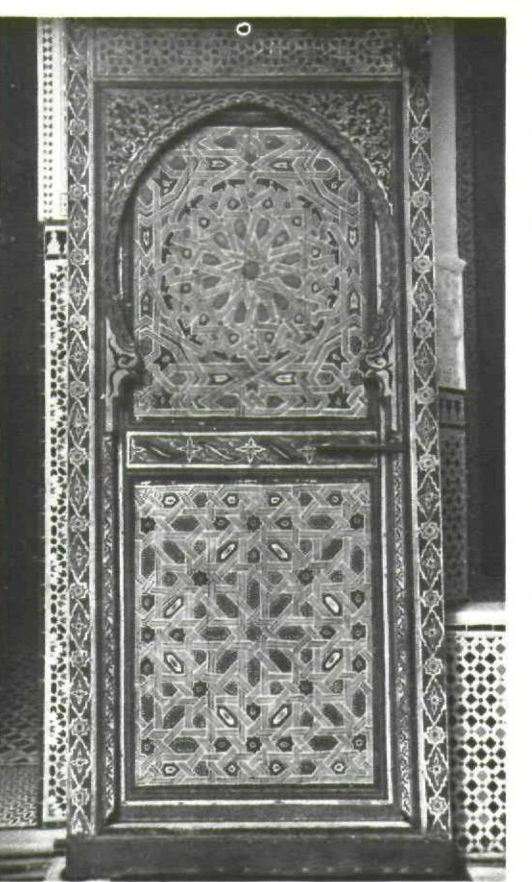


التالية : تطوان — تطاون — تطاوين — تيطاوين — تطاوان — تيطاوان — تيطاون . وقد ذكر في القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) أن « مدينة تيطاوان .. مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع طيبة الهواء والماء ». وقد صح عندي هذا في زيارات أربع قمت بها لهذه المدينة .

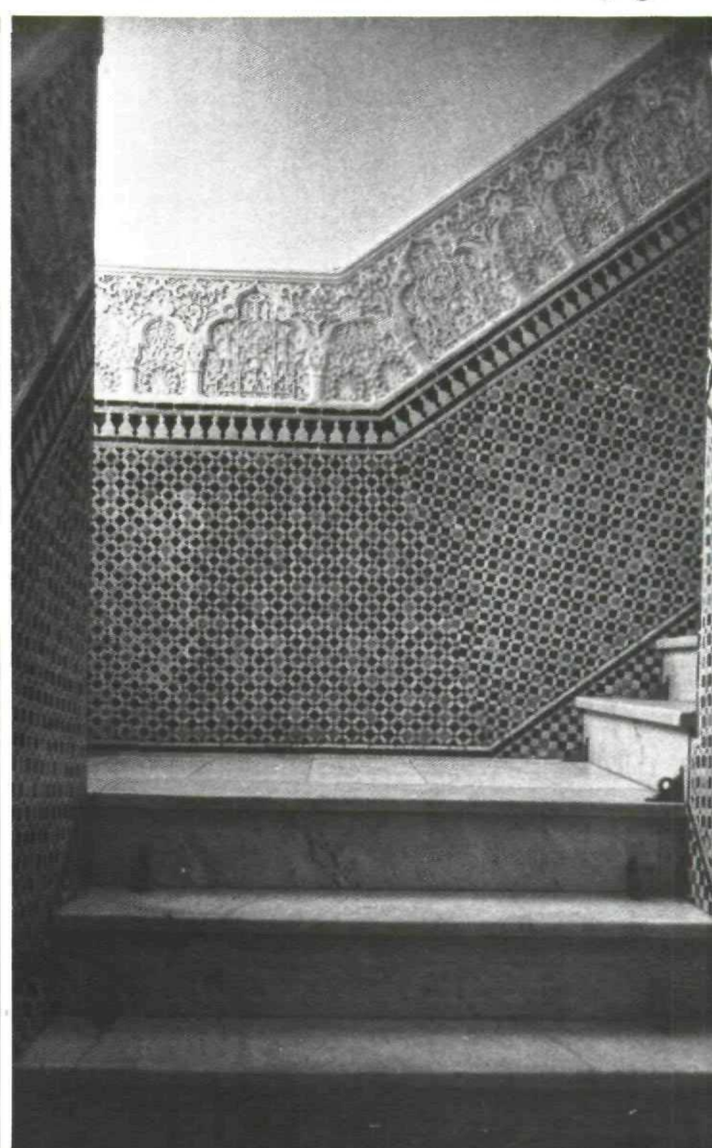
أشرنا الى أن تطوان لا تزال تحتفظ بالطابع الأندلسي الظاهر أثره فيها كلها . وقد حفظ لنا التاريخ أن الشيخ عبد القادر التبين انتقل من بلدته غرناطة سنة ٥٤٠هـ (١١٤٥م) مهاجرا الى تطوان التي أعجبته فاستقر بها واشترى من أهلها أرضا أقام فيها مسجدا ودارا وأقبل الناس عليه ثم بنوا حوله . فكأن الشيخ عبدالقادر عبّد الطريق نحو تطوان لأهل مدينته .

وهذه المدينة استمرت عامرة حتى أواخر القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) اذ أصابها الخراب نتيجة للحروب والاغارات الكثيرة . ولكن بناءها جدد في العقدين الأخيرين من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . وهذا البناء الجديد للمدينة أندلسي بكل معنى الكلمة ، وتطوان الداخلية اليوم تكاد تكون تطوان التي بنيت في ذلك الوقت وفي القرن الذي تلاه .

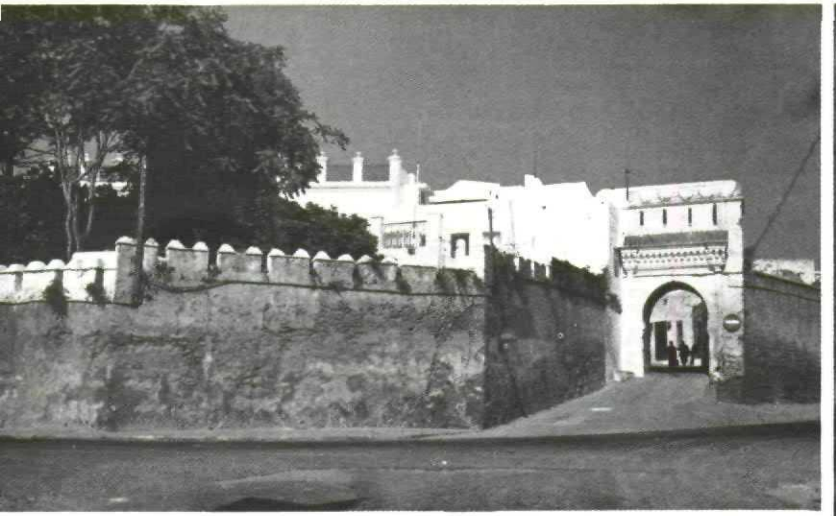
وقصة بناء تطوان في ذلك الوقت طريفة . فالفئة الأولى التي وردت على المكان كانت نحو ثمانين شخصا ، وقد بنوا أربعين دارا أو نحو ذلك ، وكانوا بقيادة القائد المجاهد أبي الحسن علي المنظري الغرناطي . هذه الفئة الأولى جاءت سنة ٨٨٨هـ (١٤٨٣م) ، وبعد



دقة الصنعة والذوق الفني الرفيع يبرزان بوضوح في أحد الأبواب الخشبية في « دار الخليفة » بتطوان .



درج في دار الخليفة تحف به جدران مكسوة بالقاشاني .



جزء من السور القديم الذي يحتضن مدينة تطوان التليدة .

حاجز في دار الخليفة مصنوع من الخشب الثمين المزخرف .



نحو عشر سنوات تدفقت الجماعات الأندلسية علــى تطوان ، وذلك بعد سقوط غرناطة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) .

والمدينة التي تم بناؤها يومئذ وصفها لنا العربي الفاسي (ت ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م) في كتابه مرآة المحاسن بأنها « بلد مربع وقصبتها في ركنها ولها ثلاثة من الأبواب وسورها في عرضه سبعة أذرع ، ودار بالسور الأول سور ثان وبعده دارت به الحفائر (الساحات المتروكة) وأعظمها حفير القصبة » . وقد طرأ على المدينة الأندلسية تبديل وتغيير وتوسيع وما الى ذلك . لكن الصورة العامة لم تتغير . وأنت اذ تدخل المدينة وتدور بها تحس بذلك احساسا واضحا .

ولعل خير ما يمثل تطوان القديمة أبوابها وأسوارها . فباب العقلة بسيط في زخرفه ، ينتهي بقوس كأنه حذوة مخففة ويعلوه جص مسطح الشكل ، لكن القوس نفسه يحيط به زخرف بسيط من الجص وفي القسم الأعلى جزء مسنن .

وباب العقلة هو الواقع في الربض الأسفل الشرقي في اتجاه البحر الأبيض المتوسط ويسمى الآن بوابة الملك الحسن الثاني .

ونحن اذا وقفنا خارج الباب مقابلين له ونظرنا الى جهة اليسار رأينا جزءا من السور القديم المسنن أعلاه وهو نفس الشكل الذي يرى في أعلى أسوار تطوان جميعها تقريبا .

وثمة الباب الغربي الواقع في الجهة الغربية والذي كان المخرج الى طنجة والقصر الكبير وفاس . وهو أكثر زخرفة من باب العقلة من حيث أن الزخرفة المحيطة بالقوس هي على صفين ، ومن حيث أن نوعا من الغطاء يعلو القوس وفيه زخرف افريزي من الجص .

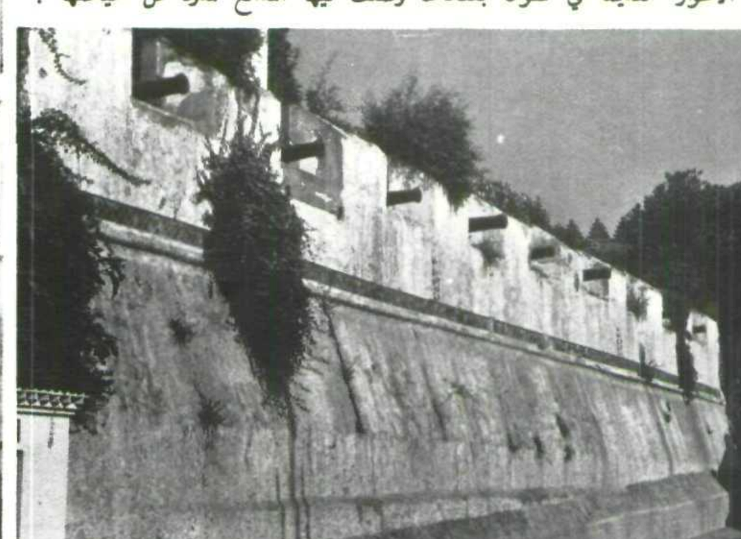
والأسوار القديمة في تطوان مسننة في أعلاها في الغالب . وفي أحيان كثيرة أضيفت الى الأجزاء العليا من الأسوار العريضة فتحات تمكن للمدافع أن توضع فيها . ومن تحصينات تطوان الهامة أبراجها ، وهي حصينة مزخرفة مسننة الأجزاء العليا .

كان لتطوان جامع كبير قديم ، وقد أصبح مع الوقت صغيرا ضيقا بالمصلين ، كما أصاب المدرسة القريبة منه بعض الخراب . لذلك فقد استبدل هذا بجامع كبير جديد يليق بالمدينة التي اتسعت مع الزمن . وقد بني سنة ١٢٢٣ للهجرة (١٨٠٨ للميلاد) . ولباب

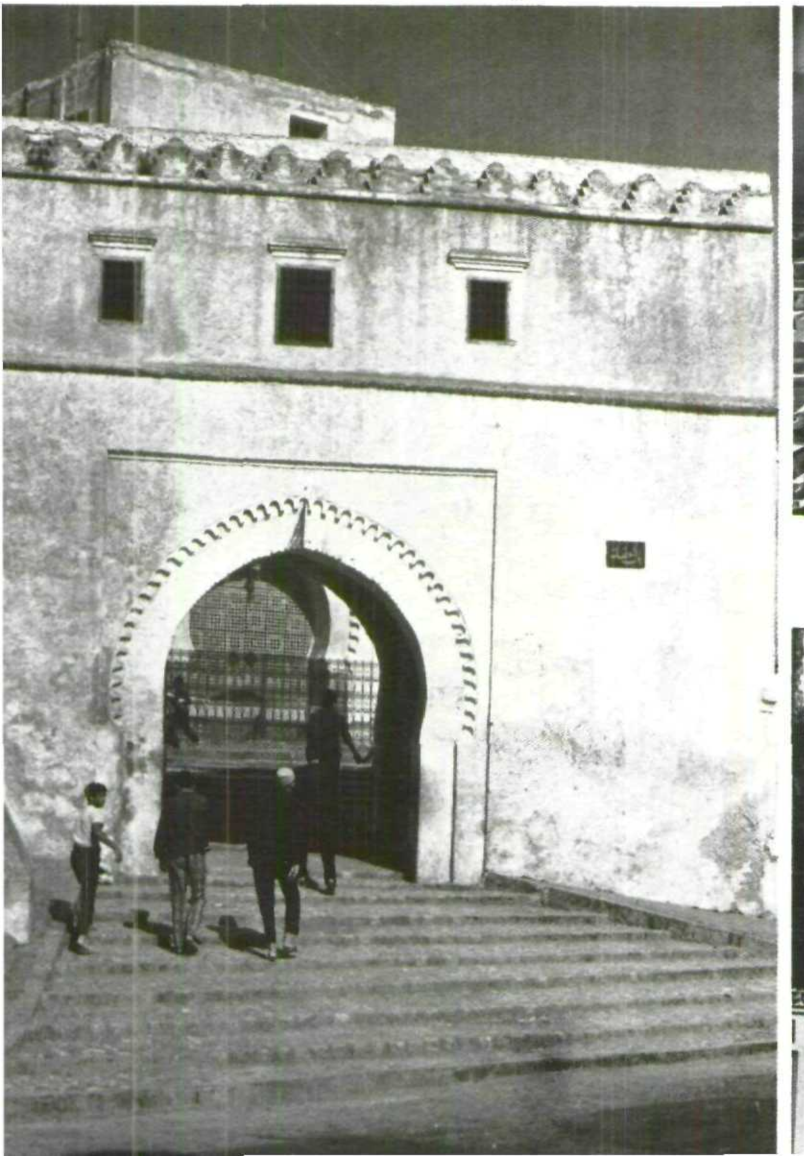
جانب من مدينة تطوان الحديثة ويرى خلفها جبل « درسة » .



ت الأسوار القديمة في تطوان بفتحات وضعت فيها المدافع للذود عن حياضها .



درج حجري يفضي الى « باب العقلة » .



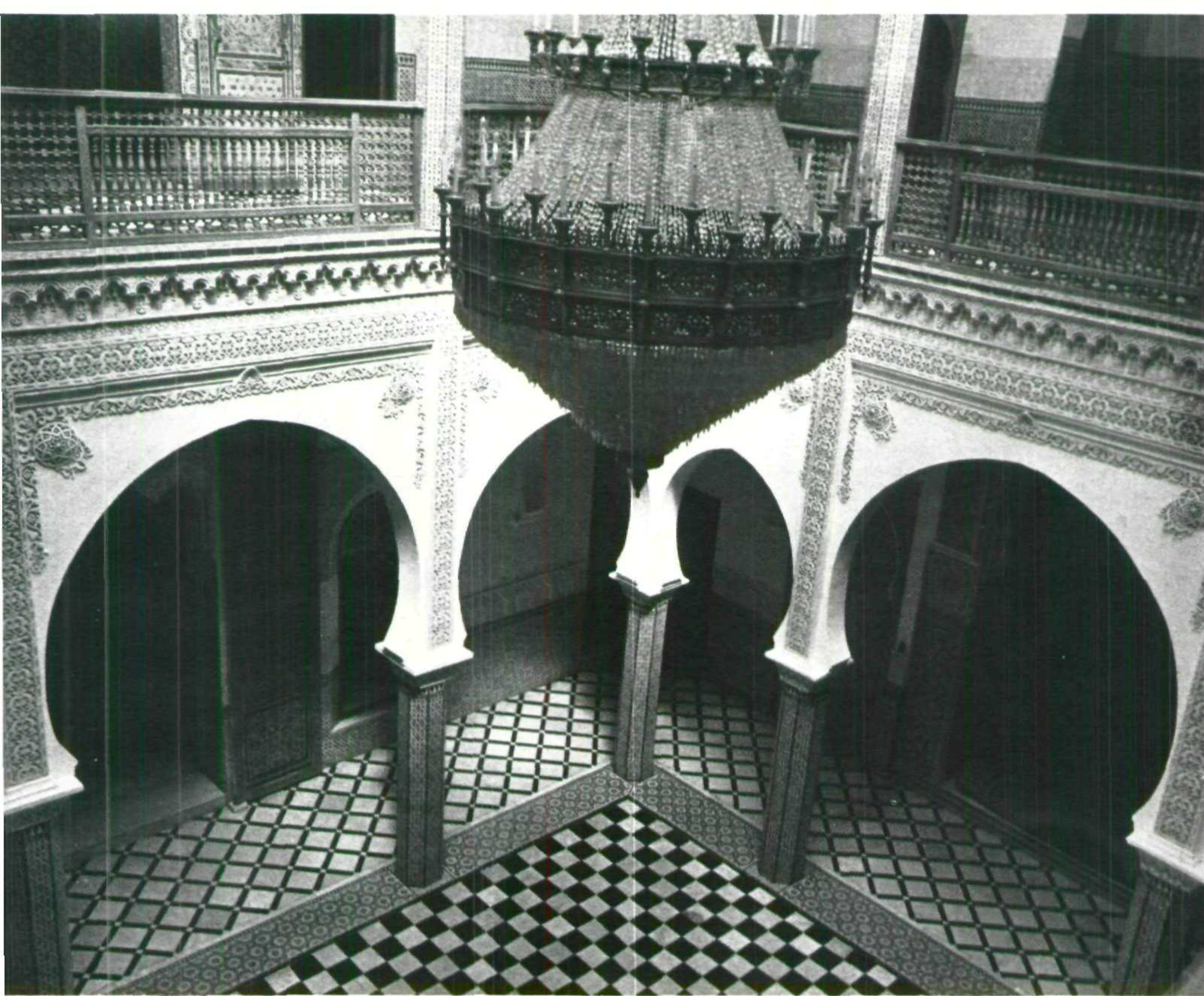


أخذت مدينة تطوان تتسع بشكل هائل ، فامتد العمران فيها الى السهول الفيحاء .



الشوارع الحديثة بتطوان تحف به أشجار النخيل الباسقات .

حوض بديع الشكل يتوسط الصحن في دار الخليفة .



جانب من الصحن في دار الخليفة يمتاز بأروقة مقنطرة ذات زخارف منمنمة .

تصوير : خليل أبو النص

الجامع الكبير بتطوان قوس على شكل حذوة الفرس يعلوه زخرف شبيه بالزخرف الجصي الذي وجدناه في الباب الغربي . وصحن الجامع متسع مبلط له أبواب تصله بالأروقة وفيه فسقية لطيفة . وايوان الصلاة يتكون من عدد متواز من الأروقة ، وفي وسط الجدار القبلي يقع المحراب .

أما مئذنة الجامع الكبير فانها مربعة وتنتهي بتسنين يشبه التسنين الذي نشاهده على الأسوار ويتوسط سطحها برج صغير تحيط به رقعة السطح حيث يدعى الى الصلاة .

وأنت عندما تلقي نظرة عامة على مدينة تطوان تجد المئذنة تتوسطها .

في المغرب اهتمام خاص باحياء التراث الفني العربي الاسلامي القديم ، يرى ذلك الزائر في الكثير من الأبنية التي شيدت في العقود الماضية أو التي تشيد الآن . ومن الأمثلة على ذلك دار الخليفة (أي وكيل السلطان) في تطوان . فتخطيطها وزخرفتها الجصية والخشبية وأروقتها وزخارفها كل ذلك احياء للماضي ، وهو احياء بطريقة تدعو الى السرور ، وأسلوب يملأ النفس بهجة وارتياحا . وثمة باب منزل في تطوان وقد نقشت عليه عبارة « لااله الا الله محمد رسول الله » .

ومع أن في تطوان شوارع قديمة جميلة بأبوابها وواجهاتها الجذابة ، فاننا اذ نغادر المدينة نودعها من شارع جديد تحيط به أشجار النخيل ■

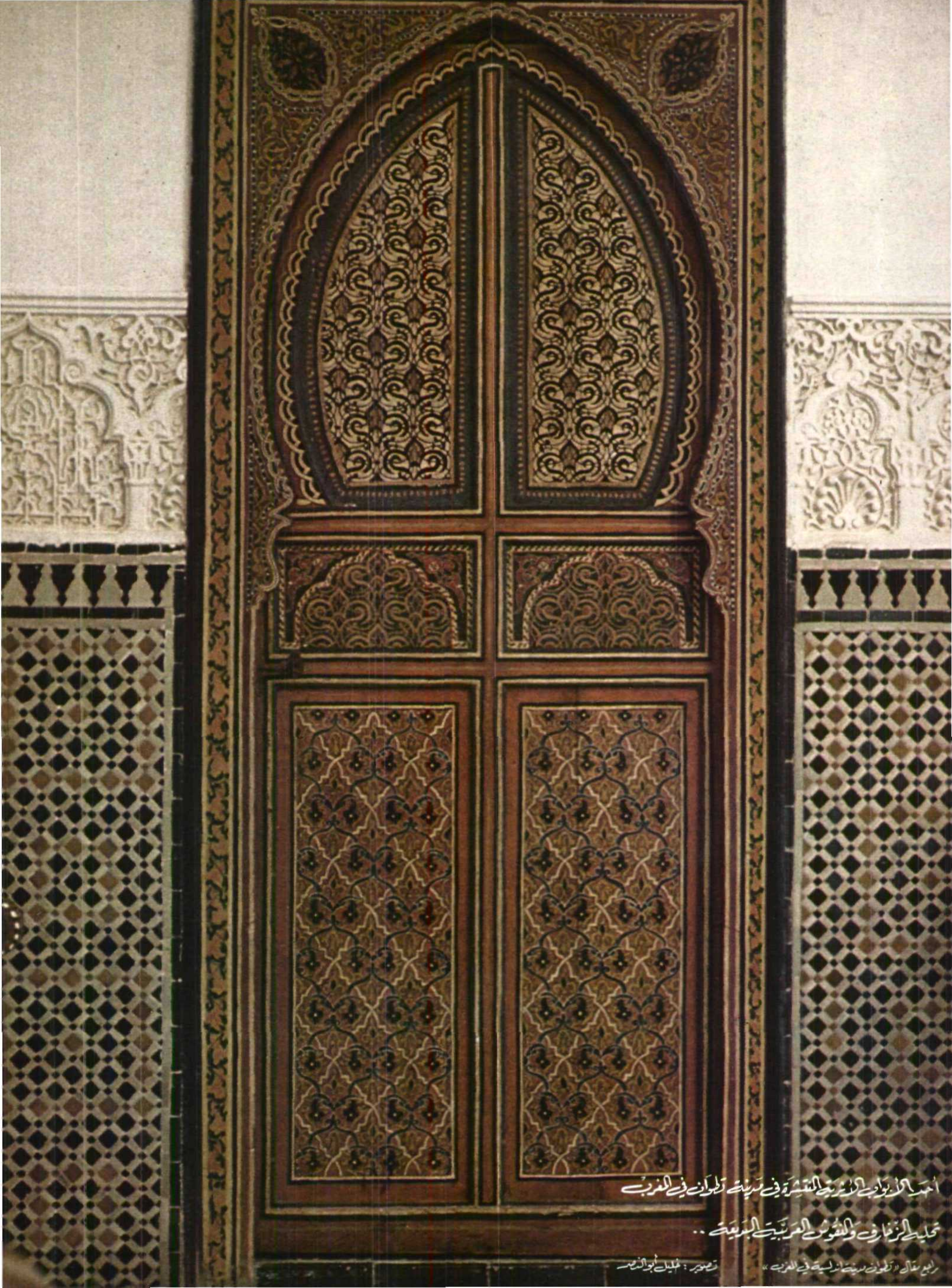
نقولا زيادة — بيروت



أثبتت مبيدات الأعشاب فعاليتها في التقليل من تعرض التربة الطينية لعوامل التشقق وفي توفير طبقة صالحة لنمو البذور.

راجع مقال «هل يمكن الاستغناء عن المحراث؟»

تصوير: بولستين



أحد الأبواب الأثرية المنتشرة في مدينة تطوان في المغرب
تحليه الزخارف والنقوش العربية البديعة ..

راجع مقال « تطوان مدينة أندلسية في المغرب » — تصوير : خليل أبو النصر